

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

كلية الآداب و اللغات
قسم: اللغة و الأدب العربي

العنوان:

بناء الشخصية في رواية " غرفة الذكريات " لـ "بشير مفتي"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إشراف :

د. صبيرة قاسي

إعداد الطالبتين :

● فاطمة ملوك

● نسيمة قاسمية

لجنة المناقشة:

.....رئيسا.

.....صبيرة قاسي مشرفا و مقرا.

.....مناقشا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ﴾ سورة النمل 19

نشكر الله تعالى على فضله وامتنانه علينا بنعمه لإتمام هذا البحث .

كما لا يفوتنا أن نتقدم بأسمى عبارات التقدير والاحترام والشكر لمن كانت سنداً لنا في بحثنا الدكتورة "صبيرة قاسي" التي أنارت درينا وذللت الصعوبات التي واجهتنا ، وصوبت بعض زلاتنا فكانت خير موجه رغم انشغالاتها .فنسأل الله أن يديم عليها نعمتا الصحة والعلم .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذينا الفاضلين الدكتور "علوات" والأستاذ "بوتالي" على ما تفضلا به من مساعدة ، وما قدماه لنا من مصادر ومراجع مهمة في البحث .

والشكر موصول إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث .

اهداء

- إلى من كانا سبباً في وجودي في هذه الدنيا والدّي الكريمين فتيحة " ، تدير "
- إلى من أخذ بيدي لطريق الجنة، و ساندني ، ووقف بجانبني في حلو الحياة و مرها ، و
حققت معه نصف الدين، شريك حياتي و زوجي الغالي "رابح"
- إلى دعائي بعد مماتي ولدّي المطيعين "وائل " و " سجود"
- إلى بهجة قلبي و عنوان سعادتني أخواتي الغاليان "فاطمة الزهراء "حكيمة " و
"سميحة "
- إلى الأعرء على قلبي أخواتي ، "محمد " ، "أحمد " ، " علي" و نسائهن
- إلى عائلة زوجي من الأكبر الى الأصغر و على رأسهم والديه الكريمين شفاهم الله و
رعاهم
- إلى زميلتي ورفيقة دربي طيلة خمسة سنوات " نسيمة " الغالية ، الى الوفيتين " مريم"
و " خليدة "

-فاطمة-

اهداء

- إلى رمزا الوفاء و فيض السخاء وجود العطاء عند البلاء ، أطل الله في عمرهما و أمدهما بالصحة و العافية "امي الحنونة "أبي الغالي" "
- إلى جزيرة لطالما تمنيت العيش فيها سندي و حياتي زوجي الغالي "حمو" و عائلته
- إلى من عشت معهم براءة طفولتي ، و جنون مراهقتي ،مصاييح حياتي إخوتي " سمير الغالي" ، " أمينة الحنونة " ، " سميرة العنيدة" صارة المطيعة" ، " نور اليقين المشاكسة "
- إلى صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة ، إلى من رافقتني بمشواري هذا ، و سرت معها الدرب خطوة بخطوة صديقتي الغالية " كريمة "
- إلى من يربطني بهم رباط العلم و الصداقة ،الذين لم تسعهم مذكرتي ووسعتهم ذاكرتي

مقدمة

تعد الرواية من الفنون الأكثر انتشاراً واستقطاباً للقارئ في عصرنا ، فهي وسيلة تعبيرية تتميز بنكهة فنية خاصة، كما تشتمل على بعض الخصائص التي تميزها عن غيرها ، والتي تمكنها من نقل الواقع ،فهي مرآة عاكسة لما يجري فيه ، وهي تقوم على مجموعة من العناصر الفنية كالزمان والمكان والشخصية والتي تتضافر فيما بينها لتولد الحدث الروائي .

ارتأينا أن يكون موضوع دراستنا "بناء الشخصية في رواية غرفة الذكريات "وهذا من أجل اكتشاف خبايا هذه الشخصيات ورفع الستار عن ألبابها والتي غمرتنا بلذة ونشوة لا ينقطع مفعولها عند انتهاء القراءة، وهذا ما دفعنا لطرح الإشكاليات التالية:

ماذا نعني بالشخصية ؟ وما هي أنواعها حسب طرح فيليب هامون ؟ ما أبعادها ، وما علاقتها بالمكونات السردية الأخرى ؟ ولمعرفة كل هذا اتبعنا خطة بحث اشتملت على مقدمة وفصلين ممهدين بمدخل تناولنا فيه الجانب النظري وعنوانه : "مفهوم الشخصية في النقد العربي الحديث وتطرقنا إلى مفهوم الشخصية لغة واصطلاحاً واختلاف أداء النقاد العرب والغرب حولها .

أما الفصل الأول حددنا فيه أنواع الشخصيات في رواية "غرفة الذكريات" حسب تصنيف "فيليب هامون" (الشخصيات المرجعية، الاستنكارية، الإشارية)، موضحين هذه الأنواع في الرواية أما الفصل الثاني فأدرجنا فيه أبعاد الشخصية الفيزيولوجية (الخارجية)، النفسية (الداخلية) الاجتماعية ، السياسية أولاً ، أما ثانياً فحددنا علاقة الشخصيات بالمكونات السردية الأخرى مكاناً وزماناً، وترابطها وتلاحمها بعضها مع بعض وما تنتج من علاقات ، مزوجين كذلك بين الجانبين النظري و التطبيقي، وأخيراً انتهينا إلى خاتمة فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

وقد استند البحث إلى مجموعة من الأدوات الإجرائية التي يوفرها المنهج السيميائي في دراسته للشخصية الروائية.

اعتمدنا لإنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:رواية غرفة الذكريات لـ "بشير مفتي"، كتاب سيميولوجية الشخصيات الروائية لـ "فيليب هامون"، وبنية النص السردي لـ "حميد حمداني"، وكتاب بنية الشكل الروائي لـ "حسن بحرأوي".

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر الأستاذة المشرفة الدكتورة "صبيحة قاسي" على تفضلها مشكورة بقبول الإشراف على هذا البحث وعلى سعة ورحابة صدرها .

الفصل الأول

أنواع الشخصيات في رواية "غرفة الذكريات"

1. أنواع الشخصيات :

1. الشخصية المرجعية
2. الشخصية الاستذكارية
3. الشخصية الإشارية

الفصل الأول : أنواع الشخصيات "

تعد الشخصيات من مكونات المحكي « التي احتلت مكانًا بارزًا في الفن الروائي وأصبح لها وجودها المستقل عن الحدث بل أصبحت الأحداث نفسها مبنية أساسًا لإمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة «⁽¹⁾، كما اختلفت التصنيفات والتحديات لهذا المكون الروائي والتي حاولت أن « تبحث في أنواع الشخصيات من حيث تعددها وتطابقها أو تقاطعها وذلك بالاعتماد على أسس نظرية واشتراطات منهجية محددة ، كما اختلفت هذه التصنيفات بحسب الحقول النصية، وبحسب انتمائها إلى الأنواع الأدبية أو إلى مجالها من سيمياء ونحو «⁽²⁾ ، وسنعنى في هذا الفصل بتصنيف " فيليب هامون " للشخصيات الذي جاء أكثر دقة وذلك لتركيزه على دورها الفعال في العمل الروائي ، حيث حددها " فيليب هامون " في الأنواع التالية :

1- الشخصية المرجعية :

يتجلى مفهوم هذه الشخصية بالرجوع إلى خلفيات مسبقة مرتبطة بهوية الشخصيات ، وللمنتقي دور في فك شفراتها وعلى دراية بها وبمعالمها « فهي إذا تحيل على عالم سبقت المعرفة به ، عالم معطى من خلال الثقافة ، أو التاريخ وما يطلب من القارئ هو التعرف على التاريخ ، وبالتالي التعرف على هذه الشخصية، ودورها يكمن في إرساء النقطة المرجعية المحيلة على النص الثقافي الشفويّ أو الكتابي «⁽³⁾.

(1) أنديون موير ، بناء الرواية ، تر : إبراهيم الصيرفي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ص 19

(2) ينظر : حسن بحرأوي ، بنية الشكل الروائي " الفضاء ، الزمن ، الشخصية " ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، الدار البيضاء المغرب ، 2009 ، ص 215

(3) ينظر : فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص ص 8،9

فالشخصية المرجعية إذن « هي نوع من الشخصيات التاريخية والميثولوجية والاجتماعية والمجازية ، تحيل على معنى جاهز وثابت تفرضه ثقافة مقرؤيتها وتظل رهينة بدرجة مشاركة القارئ في تلك الثقافة ، وعندما تتدرج هذه الشخصيات في الملفوظ الروائي ، فإنها تعمل أساساً على التثبيت المرجعي وذلك بإحالتها على النص الكبير الذي تمثله الإيديولوجيات والمستنسخات والثقافة»⁽¹⁾.

زاوجت هذه الشخصية بين الشخصيات التاريخية والأسطورية والمجازية (الحب والكرهية) والتي تركت أثراً واضحاً وجلياً عبر التاريخ ، وعندما تجسد في العمل الأدبي يكون دورها ترسيخ المرجعيات وإعادتها إلى النص الأصلي ، فالقابض على خناق هذه التنوعات والاختلافات هو القارئ بالدرجة الأولى مما يدل على ثقافته ومقدرته على فك الشفرات ، وفي رواية غرفة الذكريات نجد :

أ- الشخصية السياسية:

المتصفح لتاريخنا يظهر له جلياً العدد الهائل من الشخصيات التي كان لها وزن وأثر في المسار السياسي فهي تلك «الشخصيات التي قامت بأدوار سياسية على فضاء التاريخ ويمثل وجودها علامة»⁽²⁾ ، فهل كانوا من يسير هذا التاريخ ؟ أم أن هناك قوى خفية تسيرهم ؟ أم أن

⁽¹⁾جويدي حماش ،بناء الشخصية (في حكاية عبدو والجمام والجيل لمصطفى قاسي) ، منشورات الأوراس، ط1،الجزائر، 2007، ص64

⁽²⁾شربيط أحمد شربيط، سيميائية الشخصية الروائية . تطبيق آراء "فيليب هامون" على شخصيات رواية "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة". نقلا عن السيميائية والنص الأدبي ، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة عنابة "باجي مختار" ، 17ماي 1995 ،ص214

الظروف هي التي أوجدتهم؟ بالرغم من هذا وذاك عرفوا كيف يتحكموا بمساره . وفي رواية " غرفة الذكريات"⁽¹⁾ كانت شخصية "بوضياف" أبرز شخصية سياسية تبعث الأمل في زمن الليل الحالك

_محمد بوضياف :

هو عسكري ومجاهد ، رئيس الدولة الجزائرية سابقاً ، ويعتبر من الشخصيات السياسية التي أثرت في المجتمع الجزائري عامة في تلك الفترة ، وفي شخصيات الرواية خاصة ، حيث ذكرت شخصيته بين ثنايا صفحات الرواية ليرمز للأمل المنتظر عند العديد من الشخصيات ويظهر ذلك من خلال الحديث الذي دار بين الأستاذ الشيوعي "شريف عزيز" و البطل "عزيز مالك" وهو كالاتي :

«هناك من يعتقدون عليه آخر الآمال .

إنه زعيم ورجل ثوري ، ولكن بعد كل سنوات المنفى والبعد عن الجزائر لا أدري إن كان يستطيع فعل شيء حقيقي للبلد ربما سيخطب مثل غيره ويقول كلاماً براقاً
على الأقل هو يبعث الأمل .

طبعاً...طبعاً، ولكن نحن مقبلون على حرب ، أظن وأراه شمعة ضوء خافته في ظلام دامس «⁽²⁾

كانت شخصية الثوري "محمد بوضياف" الأمل الأخير للجزائر في ظل تلك الأوضاع المزرية على جميع الأصعدة في فترة ساخنة وحاسمة من تاريخ الجزائر، فترة سالت فيها الدماء كالوديان ، فالجميع كان متحمساً لعودته وخاصة شخصية "سمير عمران" في الرواية ، ويظهر

(1) بشير مفتي ، غرفة الذكريات ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2014

(2)المصدر نفسه، ص34

ذلك من خلال الحوار الذي دار بين "جمال كافي" و "عزيز مالك" في قول السارد: «...إنه جد متحمس هذه الأيام لعودة الزعيم بوضياف ، يراه الأمل الأخير للجزائر» (1)

كان "سمير" جد متأثر بـ "بوضياف" حتى أنه انتحر بعد يومين من إعلان اغتياله بعناية وفي هذا المقطع من الرواية يتجلى ذلك «جاء خبر انتحار "سمير عمران" مفاجئاً للغاية، وعرفت من "جمال" كافي أنه ألقى بنفسه من أعلى جسر قسنطينة في صباح باكر حتى يتجنب حركة الناس والتي كانت من شأنها أن تعيقه على تحقيق ما أراد ، دون أن يترك أي رسالة يشرح فيها الأسباب ولكن أغلب الظن كما ردد "جمال" أن الأمر كان مرتبطاً بمقتل الرئيس "بوضياف" الذي تحمس لعودته "سمير عمران" كثيراً ، واعتبره الأمل والمنقذ الوحيد حيث جاء حادث الانتحار بعد يومين من إعلان اغتيال الرئيس في قصر الثقافة بمدينة عنابة على المباشر، وهو يحاضر أمام مجموعة من المواطنين» (2).

وقد كان مقتل "الرئيس بوضياف" السبب الظاهري لانتحار "سمير" ، أما السبب الباطني فمتعلق بخيانة صديقه وحبيبته له .

جاءت شخصية "محمد بوضياف" متفرقة على لسان بعض الشخصيات أمثال "عزيز مالك" و "جمال كافي" خاصة "سمير عمران" معتبرينه المنقذ من الهلاك والشمعة التي تثير الظلام ، لكن شاعت الأقدار أن يقتل أثناء تنصيبه رئيساً للجزائر .

(1) بشير مفتي، الرواية، ص 29

(2) المصدر نفسه، ص 194

الشخصية الدينية:

المتصفح للرواية يظهر له جلياً ندرة الشخصيات الدينية فيها ما عدا شخصية "محمود" المرشد الديني في حي "عزيز مالك" والذي يسميه البعض أميراً ، ويظهر ذلك في الرواية من خلال قول السارد «وكان هنالك تأطير محكم من طرف جماعة صغيرة يسيرها مرشد ديني يسميه البعض أميراً» (1).

اتسم "محمود" بالتواضع والاعتزان، وحبه للنصح والإرشاد من جهة ، وجاء في مقطع الرواية «كان مرشد الجماعة في الحي شاباً.... يتكلم باتزان ويخفض عينيه عندما يتكلم ، وكان الجميع يعتبره متواضعاً ومتخلفاً وذا سريرة نقية للغاية» (2)

أما من جهة أخرى كان يظهر الحقد والخبث في قلبه ، فلقد أوقع بالمرشد السابق بعد اكتشافه بأنه على علاقة بامرأة من الحي، مع تهديده بفضحه إن لم يتنازل عن السلطة ، وهنا تظهر شخصية المنافق الذي يظهر مالا يضر، وبالحديث عن الفخ الذي نصبه للمرشد السابق جاءت المقاطع الدالة على ذلك في قول "عزيز مالك" : «لابد أن أقول إن مرشد الجماعة في المسجد الذي كنت أتردد عليه والذي اسمه "محمود" ، كان قد صار مرشداً بعد أن أوقع بالمرشد الذي سبقه في فخ نصبه له وظل يبحث له عن الأسباب التي تسمح له أن يتولاها بدلا عنه حتى وقعت في يده رسالة من تلك الرسائل ، ويقال إنه خيره بين التنحي أو الفضيحة فقبل التنحي» (3).

إن "محمود" شخصية غامضة ، محباً لمصالحة الخاصة مثله مثل الشخصيات والفئات التي ظهرت في تلك الفترة ، فهو منقلب ومثلون كالحرباء ، حيث اختفى من الحي وانتشرت الشائعات

(1) بشير مفتي ، الرواية، ص 42

(2) المصدر نفسه، ص 85

(3) المصدر نفسه، ص ص 89، 90

حواله ، حتى شوهد على شاشة التلفاز ، ويتجلى ذلك في صفحات الرواية في : «قيل إنه اختفى عن الحي.... إلى غاية 2001 رأيت على شاشة التلفزيون ، وكان قد شذب لحيته ، وارتدى بدلة عصرية ، وعرفت أنه عُين في منصب وزاري » (1).

أقحم الروائي شخصية "محمود" ليرمز إلى حالة الضياع واللامنتما الذي كان يعيشها الفرد في تلك الفترة ، فهو لا يعرف ما يريد في خضم الصراع الديني والسياسي ، فتراه تارةً مع هذا وتارةً أخرى مع ذلك ، فالتحول والتغير الذي جرى في حياة "محمود" من مرشد ديني إلى وزير دليل على ذلك كما تُظهر شخصيته جانبًا خفيًا من نفسية الإنسان المحب لنفسه يكون أينما كانت مصلحته

اقتصرت الرواية على شخصية "محمود" فقط ، رغم أن أحداثها ارتبطت أشد الارتباط بالعشرية السوداء الذي كان الدين السبب المباشر في وجودها ، مع الإشارة إلى جماعة المتدينين دون ذكر أسماء محددة في ظل الصراع الذي كان بين اليسار والمتدينين وقدم "عزيز مالك" ذلك في قوله : « .قطبين لا شريك لهما : واحد يساري تشعر أنه غير موجود في الواقع ..والقطب الثاني كان يمثله المتدينون والذين وجدوا في الدين ضالتهم وطريق حياتهم الصحيحة» (2)

إن عدم وجود الشخصيات الدينية بكثرة واقتصارها على شخصية "محمود" لدليل واضح على ما أفصح عنه الروائي عندما قال بأن الدين والصلاة لم تكن مهمة في حياته ، وهذا ما جعله غير مهتم بالشخصيات الدينية بكثرة ، وعدم إيرادها في عمله الروائي .

(1) بشير مفتي ، الرواية، ص 91

(2) المصدر نفسه، ص 84

ج- الشخصيات الاجتماعية :

هي مجموع الشخصيات التي تجمعهم رقعة جغرافية واحدة ، وتحكمهم عادات وتقاليد موحدة ، يتأثرون ويؤثرون في المجتمع ، فهي : « سلسلة من الوظائف الاجتماعية التي تحتوي من جهة على أدوار مبرمجة بشكل مسبق ، كما تحتوي من جهة ثانية على حالة انتظار ، ذلك أن المتلقي عندما يجد نفسه أمام اسم يحيل على وظيفة اجتماعية معينة ، فإنه يتصرف وفق العوالم القيمية التي يوحي بها هذا الاسم ، فهو يتوقع من هذه الشخصية هذا السلوك وليس ذاك ، وأن هذا السلوك سيتم بهذه الطريقة وليس بتلك » (1).

أما "فيليب هامون" فلم يقدم تعريفًا واضحًا للشخصية الاجتماعية واكتفى بتقديم أمثلة أو نماذج من المجتمع تراها كل يوم في الحياة الواقعية فالعامل والفارس والمحتال عينات بشرية تحيل على معنى ممتلئ وثابت مقرؤيتها تكون مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ للثقافة التي تقوم بتحديدتها (2)

مادامت "غرفة الذكريات" رواية اجتماعية سياسية بالدرجة الأولى فقد جمعت بين مجموعة من الشخصيات الاجتماعية من مختلف طبقات المجتمع وشرائحه ، نذكر منها :

_عزيز مالك

من الشخصيات التي تدور وتتمحور حولها أحداث الرواية نجد « الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثيل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس وتكون هذه

(1) سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة" لحنامينة" أنموذجًا)، ط1، دار مجدلاوي عمان، 2003، ص111

(2) ينظر : فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص26

الشخصية ذات فعالية كلما منحها القاص حرية وجعلها تتحرك وتنمو وفق قدراتها وإرادتها...»⁽¹⁾ أو بعبارة أخرى يعتبر "عزيز" القلب النابض للرواية والشخصية الرئيسية فيها ، فالرواية جاءت كاسترجاعات ماضية عن حياته وحياة أصدقائه، وذكريات ذلك الحب المجنون، حيث صورته "بشير مفتي" بذلك الإنسان البائس، الفقير الذي يعيش صراعاً داخلياً، فاقداً لأحلامه وطموحاته بسبب ظروفه الاجتماعية والسياسية المزرية .

ترعرع في حي شعبي من عائلة فقيرة مثله مثل أغلب العائلات الجزائرية ، ويظهر ذلك في مقطع الرواية « اسمي "عزيز مالك" عمري خمسون سنة ولدت في حي شعبي ضمن عائلة كبيرة وفقيرة»⁽²⁾، راوده حلم واحد ووحيد وهو أن يكتب روايةً ليحقق بها ذاته وأحلامه عند بلوغه الخمسين لتأتي رواية "غرفة الذكريات" كتجسيد لذلك الحلم في الواقع معبراً فيها عن مراحل حياته وتجاربه من جهة ، وعن عدم إحساسه بالسعادة والارتياح بسبب ضياع حبه الوحيد من جهة أخرى ، ويظهر ذلك في الرواية « كان انغلاقى على نفسي مرتبطاً بعدم قدرتي على الكتابة من جهة، ولأن العشق المجنون الذي ظهر في حياتي لم يمنحني ما تمنيت من سعادة مريحة ، لشخص كان يائساً وعاجزاً على الفوز بالأمر التي تعطيه قوة للصبر والتحدي ، وتمنحه طاقة على مواصلة الطريق»⁽³⁾

ارتبطت قدرة إكمال عزيز لدراسته بالفترة الساخنة من تاريخ الجزائر ، فقد أنهى دراسته الجامعية في معهد الآداب في قوله « في سنة 1990 أنهيت دراستي الجامعية بمعهد الآداب

(1) شريط أحمد شريط ، تطور البنية الفنية في القصة ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 1998، ص32

(2) بشير مفتي ، الرواية ، ص 11

(3) المصدر نفسه ، ص ص14، 15

بالجامعة المركزية»⁽¹⁾ وهذا ما زاده تخوفاً عند تخرجه بسبب ما كانت تمر به البلاد من أزمت سياسية واجتماعية، فأحس وكأنه مقبل على عالم غامض مخيف ، أما ما كان يبعث فيه بصيص الأمل هو حبه للكتابة في قوله « لكن ما كان يخفف عني ثقل ذلك الشعور بالخوف بعض الشيء...، هو حبي للكتابة كأنها الوحيدة التي تستطيع أن تهديني نجمتي الضائعة وطريقي المفقود»⁽²⁾، فالكتابة كانت أنسيه الوحيد في ظل تلك الأوضاع ، وسيروم الحياة من أجل البقاء.

حضر "عزيز" الكثير من الأمسيات الشعرية واللقاءات الأدبية وكتب بعض المقالات الصحفية في بعض الجرائد، وفي هذه الفترة تعرّف على جماعة من الشعراء كان أهمهم "جمال كافي" و"سمير عمران" جمعت بينهم علاقة صداقة بحكم اشتراكهم في الكتابات الشعرية ، وارتداد الحانات واحتساء الخمر ، فأغلب المواضيع المشتركة بينهم السياسة ، الشعر، أوضاع البلد وما وصل إليه النظام ، التمرد على السلطة ، الحالة الاجتماعية المزرية التي يعاني منها أغلبهم ومواضيع الحب والغرام والنساء ، كما قام "عزيز" بمشاركة صديقه "جمال كافي" في مسكنه بعدما عاناه من ضيق وملل في بيت أهله، فكان منزل "جمال" بالنسبة له مأوى يعود إليه بعد ليلة شرب حافلة في قوله « طبعا صعب ...أريد أن أقترح عليك شيئا ، يمكنك أن تشاركني بيتي ، فأنا لا يزعجني حضور أصدقاء معي ، ولكن عليك أن تجد عملاً ، فأنا لن أطلب منك إيجاراً للنوم، ولكن من حين لآخر تساعد في المؤونة الغذائية وتكاليف الشرب ، إن ساعدك ذلك مرحبا بك»⁽³⁾ ، المسكن كان وما زال المشكلة التي تؤرق عائق الجزائريين عامة والطبقة الفقيرة خاصة .

(1) بشير مفتي، الرواية، ص 23

(2) المصدر نفسه، ص 23

(3) المصدر نفسه ، ص 154

إن شخصية "عزيز مالك" نموذجًا للشخصية المتناقضة، فهو يائس وحالم، كئيب وفرح محب وغير متسامح، وبالرغم من هذا وما كانت تعانيه البلاد من اضطرابات سياسية وتمرد على السلطة، لم يمنعه ذلك من تحقيق حلمه في كتابته للرواية التي وجد أبطالها ومادتها الخام والحلقة الضائعة التي تربط بين شخصياتها، دون أن ننسى تلك الوردة الشائكة التي كانت السبب في تحقيق حلمه، والتي أيقظت فيه ذلك الوحش الكاسر الذي كان مدفونًا لسنوات في أغوار ذكرياته وقلبه "ليلى مرجان" ورسائلها التي أعطته شحنة إيجابية ليعود بذكرياته إلى الوراخ خمسين سنة، ويسترجع ذكرياته بآمالها وآلامها، بشخصها التي تركت فيه بصمة عميقة لا يحوها الزمن.

والدة عزيز :

هي إنسانة ريفية في سلوكها غير متعلمة، شعبية وبسيطة، أما حنوناً مضحية ومحبة لأولادها تخاف عليهم، وتحرص على مصالحهم، بالرغم من سوء وقساوة الظروف التي كانت تعيشها وعائلتها، إلا أنها كانت تحاول تيسير الوضع عليهم وتخفيفه، فلقد أنقذت "عزيز" من تلك المرأة الأرعينية التي كانت تريد الزواج منه وهو ما زال في سن المراهقة، ويظهر ذلك في الرواية في قول السارد «لكن مع هذه المرأة لم تكن النية السرقة بل الزواج بي... لكن أمي ظلت ترفض... والأغرب أن طلبت أمي مني أن أذهب إلى العيش في بيت أختي... صرخت في أمي... لقد أنقذنا حياتك... المرأة مجنونة»⁽¹⁾. فالأم هي المنقذ والعين الساحرة على راحة أولادها.

فوالدته امرأة ريفية من قرية صغيرة، وهذا ما جاء على لسان عزيز «ولدت أمي في الريف بقرية صغيرة "بالمدينة" تسمى "قصر البخاري" وكانت حياتها صعبة للغاية. وهي لم تتعلم إلا أشياء

(1) بشير مفتي، الرواية، ص 65

بسيطة كسور من القرآن حفظتها لتؤدي صلاتها «⁽¹⁾، لكنها امرأة واثقة بنفسها، مؤمنة بالعادات والتقاليد، نابذة لفكرة التحرر بحكم أن الشعب الجزائري محافظ بطبعه خاصة فئة الأجداد والجدات، ويظهر ذلك في الرواية: « كان يعجبني في أمي ثقفتها بنفسها، وإيمانها المطلق بموروث العائلة وتقاليدنا العريقة ، حتى إنها ظلت تسخر من كل امرأة تتشبه بالأوروبيات أو بدل أن ترتدي الحايك العاصمي تلبس فساتين متحررة عارية الذراع أو الساقين»⁽²⁾ لكن رغم سخرية "والدة عزيز" من النساء المتحررات لم تكن عدائية معهم وذات علاقة طيبة مع بعض نساء الحي ، فالكل حسب بيئته ومحيطه.

باعتبار المرأة الأم مدرسة في تربية وبناء المجتمع ركز عليها الراوي في رسم ملامحها الاجتماعية لما تعانيه من قسوة الأعراف والتقاليد التي تجعلها تعيش في ضغوط ، فكانت المرأة مسلوية الإرادة، مقيدة الأفعال حيث أنها لم تكن تستطيع الخروج من البيت بمفردها في قول "عزيز" « لم تكن أمي تغادر البيت إلا بصحبة أبي أو واحد من إخوتي، فلقد كان محرماً عليها ذلك. »⁽³⁾ وعلى الرغم من كل هذا وذاك كانت تتقبله الأم بدون نقاش وتعتبره أمراً محسوماً فيه ، فالمرأة عامة والأم خاصة نموذج للصبر والكفاح ،ومثال للحب والعطاء.

(1) بشير مفتي، الرواية، ص 45

(2)المصدر نفسه،الصفحة نفسها

(3) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها

والد عزيز :

هو نموذج المناضل الذي يسعى ويسافر ليكسب لقمة العيش لأولاده « فقد كان فلاحًا قبل الاستقلال، وعمل في مزارع الكولون طويلاً حتى تقوس ظهره ، قبل أن يهجر تلك القرية نحو العاصمة ويصبح حملاً في المرسى الكبير »⁽¹⁾ ، وقد كان حضور الأب في الرواية حضوراً جزئياً جاء على لسان "عزيز" الذي اكتفى بوصف عمل والده ، أو الإشارة إلى بعض الأمور السطحية المتعلقة به ، فلم تكن شخصيته من الشخصيات المهيمنة في مسار الرواية فحسب "حسن بحراوي" كان « حضوره جزئي أو خفي في مجرى الأحداث داخل الرواية سواءً بسبب ضآلة الدور الذي يلعبه في السرد أو باقتصاره على الورد على لسان الشخصيات »⁽²⁾ .

أما علاقته بالأم فكانت علاقة احترام وتقدير وحب متبادل بينهما ، لا يقال بالكلمات لكن يفهم بالنظرات حسب تعبير "عزيز" « كنت أشعر بالود العميق الذي بينهما ، وبالحب الذي لا يقال كلاماً ولكن تراه من خلال نظرات متشوقة لبعضهما البعض عندما يمرض واحد منهما ، أو عندما يسافر أبي في إطار عمله إلى مدن أخرى ، فتحس بحزن أمني وقلقها حتى يعود سالمًا آمنًا إلى البيت وكانت عودته بمثابة عرس جديدة تحدث كلما غاب وعاد»⁽³⁾

أما علاقته بأولاده فقد كانت جدية خالية تقريباً من الحوار بسبب الظروف الاجتماعية القاسية، فهمه الوحيد كان توفير لقمة العيش، وتربية الأولاد تربية صالحة ، ويظهر ذلك من خلال حوار مع "عزيز" وهو طفل في قوله : « أبي ما هي الجنة ؟

(1) بشير مفتي ، الرواية، ص ص46،45

(2) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي "الفضاء ، الزمن ، الشخصية" ،المركز الثقافي العربي،ط2،الدار البيضاء المغرب،2009، ص 280

(3) بشير مفتي ، المصدر السابق، ص 46

مكان تعيش فيه بسعادة

هل هي أحسن لأننا في الجنة لا نموت ؟

نعم لا نموت

نعم هو ذلك ...أتركني الآن ...دعني أعمل لأوفر لك الأكل والشرب ، أم تظن هذا ينزل عليك من

السماء»⁽¹⁾ ، الوالد هو عمود البيت وأساسه سواء كان كثير الحوار مع أولاده أو لا فهو يكنّ لهم

كل الحب والمودة حتى إذا لم يصارحهم بذلك .

_جمال كافي :

تعتبر شخصية من بين الشخصيات المحورية التي ساهمت في سير وتطور الأحداث .وقف

إلى جنب البطل حتى نقطة النهاية رغم الاختلاف بينهما في نظرتهم لبعض المواضيع خاصة

موضوع المرأة ، حيث يصرح "عزيز" بحبه وعشقه لـ "ليلي" ، أما جمال فقد أحب "باية" بينه وبين

نفسه وإن سأله أحد عن الحب يكابر ، ويتضح ذلك من خلال الحوار الذي دار بين الاثنين:

« سألته بدوري :وأنت هل لك فاتنة تحبها ومستعد أن تموت لأجلها إن لزم الأمر ؟

تردد في الإجابة بعض الوقت:

أنا إن مت فسأمت من أجل الشعر »⁽²⁾

جاء دور "جمال كافي" تكميليًا ومساندًا للشخصية حيث «تقوم هذه الشخصيات بدور تكميلي

...حيث يستدعيها الكاتب كعوامل مساعدة...»⁽³⁾ للبطل "عزيز" في تحقيق حلمه بالاستقلال

(1) بشير مفتي ، الرواية، ص 105

(2)المصدر نفسه، ص 117

(3) محمود بوعزة ، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) ، دار الأمان ،ط1 ، الرباط المغرب، 2010، ص26

وترك البيت العائلي لأنه يجد في الابتعاد عن منزله بعض الحرية الشخصية، حيث اقترح عليه "جمال" مشاركته بيته الذي ورثه عن جدته في قوله «أريد أن أقترح عليك شيئاً ، يمكنك ان تشاركني بيتي فأنا لا يزعجني حضور أصدقاء معي، لكن عليك أن تجد عملاً ، فأنا لن أطلب منك إيجاراً للنوم ولكن من حين لآخر تساعد في المؤونة الغذائية وتكاليف الشرب ، إن ساعدك ذلك مرحباً بك .واقفت على الاقتراح»⁽¹⁾

تنبئ دعوة المشاركة عن عمق الصداقة بينهما رغم الفترة القصيرة التي جمعها ببعض من جهة وعلى إحساس الوحدة الذي كان يحسه جمال كونه كان يسكن وحده رغم كبريائه من جهة أخرى فالإنسان اجتماعي الطبع لا يستطيع العيش بمفرده خاصة في تلك الظروف القاسية حيث يحتاج لأنيس يشكو له ما بداخله من إحساس الظلم والحرمان والفقر والعذاب...،حيث يسرد لنا الراوي على لسان "عزيز" أول لقاء بينهما حيث يقول : «أذكر جيداً كيف التقيت به أول مرة ،كان ذلك بالقرب من الجامعة المركزية حيث كان ينتظر شخصاً أعرفه ...»⁽²⁾ ، فالقاسم المشترك بينهما ،وسبب تعارفهما هو "سمير عمران" كونه صديق "عزيز" و "جمال" في قوله :« لم أتوقع دخول "جمال كافي" مع صديقنا المشترك "سمير عمران" إلى حانة أمزيان »⁽³⁾

كان "جمال" مثله مثل صديقيه كثير التردد على الحانات ، لكن يختلف عنهم خاصة فيما تعلق بالشعر والإبداع في قول الراوي:«...كان على النقيض من "جمال كافي" الذي كان مندفعاً أكثر نحو الشعر والإبداع، وتشعر أنه يشبه كلمات متحركة ، كلمات لا تتوقف عن الغناء والرقص

(1) بشير مفتي ، المصدر السابق، ص 154

(2) المصدر نفسه، ص 29

(3) المصدر نفسه، ص 46

،وصوت شعري ،هادر يهزم كل الحواجز التي تقف في طريقه»⁽¹⁾ ، كما أنه إنسان متسلط على نفسه من جهة وجاء في مقطع الرواية « تشعر أنه إنسان متسلط يريد أن يتحكم في مصيره ولا يرغب أن يكون هذا المصير في يد قوة غير قوة روحه وعضلاته هو ...»⁽²⁾،ومتسلط من جهة أخرى على حبيبته "باية" التي لم يصارحها يوماً بحبه ويكتفي فقط بإشباع غرائزه الحيوانية ، وهذا مقطع من الرواية تصف لنا "باية" جمال وتكتمه «... رغم أنه كان شاطراً في التكتم على ذلك طبعاً هو من النوع الذي لو هام عشقاً فلن يقول إنه عاشق متيم... هو هكذا رجل غريب يحب نفسه كثيراً ، ويعتقد أنه مركز العالم وقطب يجذب كل من حوالبه إليه...، إنه ظاهرياً أناني ولكن باطنياً رجل متوتر المشاعر، وقلق من ناحية الأحاسيس»⁽³⁾ وهذا ما يسميه "حسن بحرأوي" بالشخصية المركبة فهي « تتصف بازدواجية في السلوك والمواقف وتتغذى على مشاعر متناقضة تستبد لها بحسن الأوضاع التي تجد فيها نفسها، فهي تارة قاسية كأعنف ما تكون القساة وتارة أخرى تكون غاية في اللطف والليونة بحيث يعسر علينا أن نتبين الوجه من القناع الذي تخفي وراءه حقيقتها وذلك نتيجة عدم توافق ظاهرها مع باطنها»⁽⁴⁾

"جمال كافي" من الشخصيات التي تعاني صراعاً داخلياً وتعقيداً في تركيبها النفسي من جراء أزمة ذاتية ، فقد وقع بين نارين عشق "باية" وصداقة "سمير" وهذا ما أثر على نفسيته التي عاشت ازدواجية في السلوك ، فقد كان يعيش الحب وينكره إن سؤل.

⁽¹⁾ بشير مفتي، الرواية، ص 58

⁽²⁾ المصدر نفسه ، نفس الصفحة

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 190

⁽⁴⁾ حسن بحرأوي ، بنية الشكل الروائي ،"الفضاء ، الزمن ، الشخصية" ، ص 322

إن ما يميز "جمال" عن غيره هو استحواذ الشعر على من حياته حتى أنه كان يملك غرفة مليئة بالدواوين الشعرية، ويعتبر أن الشعر هو سيروم الحياة في قوله «...ليس عندي أدنى شك في ذلك.. الشعر هو الحقيقة الوحيدة التي أوّمن بها أكثر من أي شيء آخر ، بل أعتبر كل ما في الكون وما وراءه نسيباً ، أما الشعر فمطلق مطلقى الوحيد ..،ولو نزعنا مني حبي للشعر فكأنك نزعنا مني سيروم الحياة...»⁽¹⁾، حتى عندما أجرى مقارنة بين المرأة والشعر ، ارتقى بالشعر إلى درجة الهيام والجنون، وأنزل المرأة إلى أحقر منزلة باعتبارها هي التي تروي نهمه الجنسي فقط، فهو يقول أنه لا يؤمن بالحب وعلاقته بالنساء هي مجرد علاقات عابرة لكن الحقيقة شيء آخر : «...علاقاتي النسائية تتوقف بسرعة ، فهي في أطول التجارب لا تدوم إلا شهراً واحداً وهي في الأعم الأغلب حسية ، أي تتوقف بعد أن أشبع نهمي الجنسي ، وأحس أنني ارتويت بما يكفي لكي أواجه قسوة الوجود الذي أعني فيه... ، لا أستطيع تصور المرأة أنها هي الطريق الوحيد لتحقيقي ، ربما فيما يخص الشعر يمكن أن أقول عنه إنه "نور فوق نور"، أو حتى "ظلمة فوق ظلمة" لأنني من خلاله أتحقق كلياً ، أو أحس بنشوة كاملة ، يكفي أن يتلبسني حتى أتحوّل من الداخل والخارج ، حتى أصبح أنا كاملاً ومطلقاً ..فقد أبدو لك الآن مجنوناً بالفعل ، لكن صراحة هذا ما أحس به ، وأتصور أن أي شاعر في هذا الوجود لا يتلبسه شيء من هذا القبيل ليس شاعراً بمعنى الكلمة»⁽²⁾ ، الشعر عند "جمال" هو الحياة ،النور ،الكمال ،والإحساس بالوجود، وهذه الصفات تكون عند الشاعر الحقيقي فقط .

(1) بشير مفتي ،الرواية، ص 118

(2)المصدر نفسه، ص ص 118،119

كانت نهاية "جمال" مأساوية فقد قتل في ليلة حالكة من قبل أناس مجهولون أمام بيته في ذكرى وفاة صديقه "سمير" الذي أحس بالندم وعذاب الضمير لأنه كان السبب وراء انتحاره.

-سمير عمران :

هو من الشخصيات التي كانت لها صدى وبصمة في الرواية كونه صديق البطل "عزيز مالك"، كثير اللقاء به خاصة في الحانات حيث يكثر الحديث عن السياسة، العشق، والغرام، عند ذهاب العقل .

كان "سمير" من مواليد قسنطينة يسكن مع أمه وأخته قبل انتقاله إلى الجزائر ، وجاء ذلك في مقطع الرواية : « "سمير عمران" يسكن في قسنطينة ... تلك المدينة التقليدية المحافظة من الظاهر ... يسكن في حي شعبي مع والدته وأخته »⁽¹⁾ محباً للضعفاء عطوفاً عليهم، أراد أن يرتفع باللغة إلى أعلى المراتب « ... هو الذي اختار الشعر لكي يرتفع باللغة إلى أعلى مكان في الوجود ، لكن الإنسان الذي فيه كان يحب أن يكون علوه بالإنساني العميق ، يكمن في أن يقف إلى جانب الضعفاء والمساكين في حياتهم اليومية الصعبة »⁽²⁾ ، فهو متمرد على النظام مثله مثل جميع الشخصيات في قوله: « صرنا مثل الصراصير نتكيف مع كل شيء ونحن نعرف أنه لا يوجد حل في الأفق »⁽³⁾ ، فنظرة التشاؤم والكآبة بادية عليه.

رغم سنين الحرب والدمار لم تؤثر على براءة شخصيته ، حيث كان يتصرف مع غيره بكل لطف وأدب واحترام ، عطوفاً على الآخرين محباً للمساكين رغم وضعه المزري من فقر ، ونفسيته المتحطمة ، أما فيما يخص ثقافته وشعره فلقد كان من الطراز الجيد حيث تحصل على الجائزة

(1) بشير مفتي، الرواية، ص 108

(2) المصدر نفسه، ص 108

(3) المصدر نفسه، ص 107

الشعرية بفضل جودة قصيدته ،فقدم "بشير مفتي" سعة ثقافته في قوله: «كان قوياً بشعره وروحه المتلألئة ...، أما الثقافة التي يملكها فكانت تثير الغيرة والحسد»⁽¹⁾ ، عمل مدرساً في الجامعة لمدة ثلاثة أشهر ، دون أن ننسى شغفه وحبه للغة الإسبانية حيث كان يعمل مترجماً في مركز ثقافي أجنبي، كما عَرَف بأنه شخص مسالم بعيد كل البعد عن الصراع والصدام وقد قدم "بشير مفتي" هذه الفكرة على لسان "عزيز مالك" في قوله : «فعندما يتعلق الأمر بمواجهة الخصم كان يضعف ويتراجع بسرعة، فطبيعة سمير عمران لا تميل إلى الصدام ولا المواجهة ،وأن كل هذا الوضع كان قاسياً على نفسيته الهادئة دائماً، كأنه كان يملك بداخله السلب المدمر، تراثاً من الخيبات والهزائم المنكرة والتي تجعله في النهاية غير قادر على المواجهة»⁽²⁾

فمن خلال ذلك نحس أن "سمير" بسماته الطيبة والمسالمة يملك بداخله جرحاً دفيناً أو كنزاً خفياً لا يريد الإفصاح عنه ، جرحاً لا تستطيع السنين مداواته ، ومن خلال إكمالنا لأحداث الرواية يتضح لنا هذا الجرح المدفون ،فقد عاش خيانة صديقه مع حبيبته بكل صمت وحزن حتى انتحر موهماً أصدقاؤه ومن يعرفه أنه انتحر بسبب مقتل "بوضياف" الذي كان جد متحمس لعودته « حيث جاء حادث الانتحار بعد يومين من إعلان اغتيال الرئيس في قصر الثقافة بمدينة عنابة على المباشر»⁽³⁾، لكن سببه الحقيقي هو الخيانة التي قسمت ظهره وأدمت قلبه .

⁽¹⁾،بشير مفتي، الرواية ،ص 55

⁽²⁾ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

⁽³⁾المصدر نفسه، ص 194

أما نظرتة للنساء فقد كانت نظرة استثنائية فقد أحب "باية" صدفة دون سابق إنذار ومن النظرة الأولى، حيث اعترف لها بحبه دون أن يعرفها عن كثب، فلما راها دخل في حالة من الجنون لا يعرف ماذا يفعل ؟ وماذا يقول ؟، فجاءت مقاطع الرواية متسلسلة على لسان "سمير عمران" بحد ذاته وهو يحكي لـ "عزيز مالك" أحداث تلك الليلة في قوله «...تعرفت على "باية" (هذا اسمها) في بيت "جمال كافي" ... سهرنا في بيته مرة، وجاءت هي كقمر منير في ليلة حزينة .لا أخفيك استبدت بي في تلك اللحظة التي دخلت فيها...لا يهم الأوصاف التي سأمنحها لها ولكن تلك الأوصاف هي أوصافي أنا ، ليست بالضرورة هي هكذا في أعين الآخرين ، تختلف الأوصاف لأن الوصف يكون شاعرياً عندما تلتهب المشاعر ، يكون حاراً عندما يحترق القلب...أنا احترق قلبي ليلتها وقلت من أين خرجت تلك المرأة ؟ هل خرجت لي دون الجميع ؟ ...كنت سأغادر السهرة حينما طرقت الباب وفتح لها جمال يا لوقع ذلك المنظر على قلبيحينما رأيتها كأن أنواري كلها أشرقت في وجهي ليس سهلاً أن يحب الإنسان من أول نظرة ، أو قد يحدث هذا مرة واحدة في حياتك أن كنت محظوظاً لأن الحب،إما من أول لحظة هذا شيء رائع وأنا من أول نظرة أحببت "باية" ، وقبل حتى أن أقول شيئاً قلت لها : أشعر أنني أحبك ،اعتقدت أنني أمزح معها ، لكنني أكدت لها ذلك وأشهدت الجميع ...،لم أعرف كيف أتصرف وقد داهمني الحب وأنت تعرف الحب مجنون لكنه يجعلك لا تعرف كيف تتصرف ؟ كيف تتكلم؟ لا تجد الكلمات المناسبة ، تضيع منك الاستعارات الجميلة.»⁽¹⁾

رغم هذا الحب الجميل والمجنون الذي كان يكنه "سمير" لـ "باية" لم تعرف قيمته إلا بعد فوات الأوان، كونها كانت تعيش اضطراباً عاطفياً فلا تستطيع الاستغناء عن "جمال كافي" التي

(1) بشير مفتي، الرواية، ص 168-171

كانت تحبه ولم يصارحها يوماً بذلك ، ومن جهة أخرى لم توقف علاقتها بـ "سمير" الذي كان نقيضاً لـ "جمال" وأداة للانتقام منه فكان يرضى غرورها الروحي دون أن تكثر بمشاعره ليسقط جثة هامة من أعلى جسر قسنطينة كشهيد من شهداء الحب والخيانة.

باية:

تعتبر الحلقة الضائعة التي كان يبحث عنها الراوي لكتابة روايته ، باعتبارها همزة وصل بين ذكريات الماضي ورغبة الاستمرار في الحاضر ، فهي القاسم المشترك بين "سمير" و "جمال" في قوله : «بدأت الكتابة والبحث عن بقي من تلك السنوات القاسيات ، وتذكرت "باية" الحب الملعون والجميل لـ "سمير عمران" فزحت أبحث عنها»⁽¹⁾، فكانت هي الأساس الذي اعتمد عليه "بشير مفتي" في ربط أجزاء الرواية فهي تتحدث عن صديقة خاصة وما جرى في تلك الحقبة عامة وجاء مقطع الرواية «...قلت في نفسي هم الذين سأكتب عنهم لا غير...هم الموضوع والمادة ، بل هم دم الكتابة»⁽²⁾ وقوله أيضاً: «لا أعرف إن كنت أناً أم لا ، ولكن أحاول أن أكتب رواية عن أصدقائي ، وأشعر أنك الحلقة التي تربط كليهما ببعض»⁽³⁾ .

جمال "باية" كان وراء افتتاح كل من "جمال" و "سمير" بها فـ "سمير" أحبها منذ النظرة الأولى دون أن يعرف تفاصيل حياتها ، أما "جمال" أحبها وهي في سن المراهقة «فالمراة لا تلفت الانتباه ولا تثير الإعجاب إلا بقدر ما يكون حظها من الجمال ورشاقة القدر وحسن المظهر، وحتى عندما تتوفر لديها بعض المميزات -غير المظهرية- البارزة كالمعرفة أو الذكاء أو الوعي ، فإن

⁽¹⁾ بشير مفتي، الرواية، ص 178

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 176

⁽³⁾ المصدر نفسه ، ص 188

الكتاب لا يحضونها العناية اللازمة ويجعلون منها، في أفضل الأحوال مجرد لواحق ثانوية ،لا يعتد بها عند قياس جاذبية الشخصية» (1)

إن الشكل عند "بشير مفتي" هو المعيار والأساس الذي تبنى عليه شخصية المرأة وهو يرجح العفة لجمال المرأة من طول ورشاقة وجمال ،على حساب جمالها الداخلي من ذكاء وعلم وعقل راجح.

انتقلت "باية" مع عائلتها من بوسعادة إلى الجزائر هرباً من العادات والتقاليد ، ورغبة والدها في التمدن في قولها «...رغم أنّ والدي كان رجل تجارة ناجح في أعماله ومتفتح في ذهنه وتصوره لحرية المرأة ، إلا أن المحيط كان يجبره على أن يتقبل قواعد الواقع كما هي ، فلا يتحداها أو يتجاوزها كان يدرك أنه سينتقل إلى الجزائر يوماً ما، وكان يعمل ما بوسعه ليحدث ذلك بسرعة ، وانتقلنا وأنا طفلة لم تدخل المدرسة بعد. جئت من الصحراء والرمال والحر القاتل مباشرة إلى البحر والزرقة والبرودة المنعشة شعرت كأنني انتقلت من عالم إلى عالم آخر » (2)

الحب الملعون لـ "سمير" كما سماها "عزيز" كانت فتاة ذكية متحررة ، وما يميزها عن صديقاتها في تلك الفترة تمكّنها من اللغة الفرنسية وهذا إصراراً من والدها «...وأصر على أن نتعلم الفرنسية أنا وإخوتي جميلة وفوزية ، بل حتى نتكلم بها في الشارع والبيت ...، لقد نشأت في وسط يعشق الفرنسية ويتكلم بها ويقرأ من خلالها » (3) ، فاتقانها للغة الفرنسية كان سبباً في تعرفها على "جمال" لأنها كانت تدرس مع أخته "تهلة" في الثانوية ، وهي تحكي تفاصيل تعرفها على

(1) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي،" الفضاء ، الزمن ، الشخصية" ص276

(2) بشير مفتي ، الرواية، ص ص 180،181

(3) المصدر نفسه ، ص ص182،181

"تهلة" و "جمال" في قولها «...عندما انتقلت إلى الثانوية تعرفت على زميلتي "تهلة" أخت الشاعر "جمال" كانت قبائلية وتتحدث الفرنسية جيداً ، وكنا نتواصل بعفوية ونشعر أننا اقرب لبعضنا البعض من غيرنا ، كنت أذهب معها إل بيتهم في أعالي "بوزريعة" ، كانت تسكن في بيت صغير تحيط به أشجار عنب صغيرة ، وهناك تعرفت على "جمال" أيضاً...»⁽¹⁾

كانت علاقة "باية" بـ "جمال" علاقة حسية جسدية طيلة فترة تعارفهما التي دامت ثلاثة أشهر، في قولها « لم تدم علاقتنا إلا ثلاثة أشهر فقط...أعتقد أننا مارسنا فيها كل المداعبات الجسدية الممكنة والمحتملة ، ورغم أنه كان يرغب في أكثر من هذا ، إلا أنني بقيت ملتزمة بذلك الخط الأحمر وقلت له "عذرتي ستكون للزوج الذي سأختاره"،لم أكن أشعر أنها علاقة حب ، لأنه لم يكن يتكلم عن المشاعر ، كان أكثر ما يهمه أن يلتقي بي وحدي وبسرعة يخلع ثيابي ويمارس معي الحب ، كان ذلك ما يسعده ويخفف عنه شرانيقته ، أو كما يقول يقاومها بهذا الأسلوب »⁽²⁾،لنتنقل "باية" إلى الجامعة ويقل اللقاء بـ "جمال"،وفي خضم هذه الأحداث ومسرح الانفعالات بينها وبين "جمال" يظهر البطل البروفيسور لتتزوج به انتقاماً من جمال لأنه وجد فتاة أخرى، حيث تقول :« في جانب مني كنت عقلانية ، ورغبت أيضاً أن أنتقم منه ، لأنه تركني بعد ثلاثة أشهر فقط من علاقة كانت مدهشة....»⁽³⁾ ليأتي دور "سمير عمران" كسرعة البرق لتدخل معه في علاقة غريبة ،ناسيةً أو متناسيةً بأنها كانت وما زالت تحب "جمال" صديقه، وأنه لم يمض وقتٌ على طلاقها.

⁽¹⁾بشير مفتي، الرواية، ص 182

⁽²⁾المصدر نفسه ص 184

⁽³⁾المصدر نفسه،ص 187

ينتضح جلياً بأن "باية" تعيش حالة صراع داخلي نابعة من مشكلة نفسية ، حيث سيطر عليها إحساس الانتقام لأنها لم تستطع أن تمتلك وتكسر قلب ذلك الرجل القاسي ، فراحت تفرغ غضبها وغضبها على سمير، وتعتبر سبباً من أسباب المأساة، فرغم ما حدث من أحداث قاسية وموت "سمير" المروع بسببها لم تفقد الأمل في أن تكون مع "جمال" وجاء مقطع الرواية كالاتي :

« رغم ما حدث من فاجعة لـ "سمير عمران" كنت أتشبث بأمل واحد، أن أكون مع "جمال كافي" وأن نعيش مع بعض، حتى ولو كان الثمن هو هذا الشعور بالذنب ، ذنب انتحار شخص مقرب لكينا، لكنّه لم يقبل وحملني دون أن يريد مسؤولية ذلك ،كنت أرى في عينيه الإدانة ، وكان لسان حاله يقول نحن مجرمان...مجرمان»⁽¹⁾

إن شخصية "باية" معادلة غريبة الحل، لعب القدر معها لعبة عجيبة فأوقعها في حكاية عشق رجلين، لكن تظل المرأة هي الضحية وأسمى مخلوق في الوجود، فأحياناً يقف القدر معها جنباً إلى جنب وأحياناً يخونها لتجد نفسها بلا حل.

د- الشخصية المجازية:

هي من الشخصيات المهمة في بناء الشخصية، تعبر عن الرغبات الباطنية المكبوتة في نفس الإنسان من حب وكره وحسد وبغض وغيره حيث : « تقوم الشخصيات المجازية هنا بإنجاز أفعال أو التعبير عن رغبة أو التظاهر بأمرها ، وهي تبطن أمراً آخر ، وينبثق من وراء كل ذلك كلاً معنى الشخصية وعلاميتها ، وتجسد الشخصية في هذا النوع صفة أو عدة صفات معنوية مثل :

الكره ، الكره ، الطمع ، الجبن ، والغيرةإلى غير ذلك»⁽²⁾

(1) بشير مفتي، الرواية، ص 224

(2) شريبط أحمد شريبط، سيميائية الشخصيات الروائية، ص 220

تختلف الشخصيات المجازية عن التاريخية والاجتماعية، فهي مجموع المشاعر والأحاسيس التي تظهرها الشخصية اتجاه شخص آخر، أي الصفات المعنوية الداخلية التي تختلف وتتفاوت بين الشخصيات ، وأطلق عليها صفة الشخصيات مجازًا لأنها تلعب دورًا معينًا في الرواية وعلى مجرى الأحداث .

من بين الشخصيات المجازية الواردة في "غرفة الذكريات" والتي ظهرت جليًا من خلال أقوال وسلوكيات الشخصيات "مسألة الحب والكراهية"، حيث ترأست "ليلي مرجان" لائحة الحب الغريب ، أما الكره فقد كان للنظام السائد و متفرقًا على لسان بعض الشخصيات، جاء تحديد الشخصية المجازية حسب "فيليب هامون" كالاتي:(1)

أ_مسألة الحب:

الحب كلمة سهلة اللفظ، معقدة التركيب ، يصل بك تارةً إلى السموات السبع من شدة الفرح ، وتارةً ينزل بك إلى درجة الصفر، وهذا ما كان يشعر به "عزيز مالك" اتجاه "ليلي مرجان" في قوله: «إنه حب غريب بالفعل ،لأنه بقدر ما كان يجعلني أسعد بمجرد أن تخطر على بالي صورة "ليلي مرجان" ، بقدر ما يجعلني أتعذب بما لا يحتمله أي قلب عاشق من آلام وجراح»(2)

إنّ الحب ينعش الذات والقلب ويقتلها في الوقت نفسه، وإضافة إلى حب "عزيز" لـ "ليلي" ظهر حب "سمير عمران" لـ "باية" الحب الخاطيء للمرأة الخاطئة في لحظة خاطئة طائشة، لذلك كان حبه مؤلماً أكثر من أي حب آخر ، ويظهر ذلك في حديث "عزيز" حيث يقول :« أما

(1) ينظر : فيليب هامون ،سيمولوجية الشخصيات الروائية ، ص 24

(2) بشير مفتي ، الرواية ، ص 72

"سمير عمران" فالأمر كان مؤلماً بالنسبة له ولم أفهم لماذا هو مؤلم...، كان فقط يقول إنَّ الحب أعمى ويرمينا في سحيق الغواية ويجردنا من قوتنا الداخلية»⁽¹⁾

ابتعد الحب في رواية "غرفة الذكريات" عن معناه الروحي السامي أي الحب من أجل الحب و فقط وليس لأي غرض جسدي أو حسي ، فرغم حب عزيز ل ليلي ذلك الحب الهوسي الجنوني إلا أنه ظلَّ قابلاً في بوتقة الجسد وإشباع النهم الحسي الحيواني .

من بين الشخصيات التي جسدت الحب نجد شخصية " ليلي مرجان" باعتبارها الدافع الرئيس في تفجير الرواية ، والحب الغريب الذي بقي راسخاً في عقل وقلب البطل "عزيز" لمدة طويلة من الزمن.

ـ ليلي مرجان :

تعتبر من الشخصيات الأساسية والسبب الرئيس في تحقيق حلم الكاتب، ورغبته التي ظلت مكبوتة لسنوات عديدة في كتابته للرواية في قوله : « كانت فكرة كتابة قصة حب "ليلي مرجان" مع قصص أخرى حدثت لي مع آخرين وأخريات موجودة دائماً وحاضرة أبداً في ذاكرتي وذهنني ، أما الرسائل التي وصلتني تباعاً فهي التي حركت كتابة هذه الرواية الوحيدة...»⁽²⁾ .

أحبها "عزيز" بجنون لمدة طويلة ، فبقدر ما كانت سبباً في فرحه وسروره ، بقدر ما كانت سبباً في ألمه ، فقد رفعته لأعلى سماء ثم أنزلته إلى قاع الجحيم وعمق الهاوية ، وبخصوص عملها كانت تعمل « ممرضة بمستوصف استشفائي بشارع "مصطفى فروخي" وتسكن في شارع

⁽¹⁾ بشير مفتي ، الرواية ، ص 83

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 22

"حسين داي" قريباً من محطة القطار»⁽¹⁾، أما بالحديث عن أول لقاء جمع بينهما فقد كان مجرد صدفة ، وبسبب الكناش الذي أضاعته في قول السارد: «..اليوم الذي فقدته فيه..اليوم الذي عثرت عليه أنا .»⁽²⁾، فرب صدفة خير من ألف ميعاد.

أحبت "ليلي" رجلاً متزوجاً له عائلة وأولاد ، عمره خمسون سنة في قول السارد « فجأة راحت تحكي لي قصة حبها لذلك الرجل الخمسيني الطبيب الذي يعمل في مستشفى مايو بالتفصيل الممل وكيف أنها منذ أن حضرت بعض دروسه في الجامعة أحبته »⁽³⁾، أرادت أن تكون علاقتها بـ "عزيز" مجرد صداقة وإن أراد تطويرها تشترط عليه أن لا تترك "طارق عوادي" أبداً لتمر فترة تعارفهما كلمح البصر لتتزوج وتختفي عن الأنظار وتساfer لـ كندا ، تاركة "عزيز" في حالة ألم صعبة الوصف ، فقد كانت امرأة أنانية لا تفكر إلا في نفسها ، وبعد هذا أرسلت إليه رسائل تبرر فيها سبب تصرفها هذا وتحاول الاعتذار عما فعلته به ، ويظهر في الرواية « لا أدري إن نسييتي أم لا ؟ لكن أنا أذكرك رغم الخمس عشرة سنة التي مضت على يوم ودعتك فيه بعنف وقسوة لا مثيل لهما ... تركتك خلفي مجروحاً ومكتئباً ، ...هل أرسلك لأعتذر منك الآن ؟ أنا التي كنت أنانية في ذلك الوقت كما قلت أنت ... ربما ...لقد وجدت لنفسي كل المبررات الكافية لكي أفعل ما فعلت دون أن أشعر بأي تأنيب الضمير...»⁽⁴⁾

كانت " ليلي" جزء من قصة حب معقدة فـ "عزيز" أحبها بجنون، وهي تبادل الحب مع شخص ثان ، لذلك تعد من الشخصيات الأنانية التي تريد الحصول على كل شيء ، فهي تود حب

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 74

(2) المصدر نفسه، ص 22

(3) المصدر نفسه، ص 212

(4) المصدر نفسه ، ص 18

عزيز وتشناق إليه كلما غاب عنها، وتفرح عندما يطاردها ويهاثفها، فقد تعودت عليه و لا تريد الاستغناء عنه، لكن بالرغم من كل هذه المشاعر نحوه إلا أنها كانت مؤمنة ومتشبثة بحب الطبيب "طارق عوادي" ، تحسها وكأنها منفصمة الشخصية فأبي قلب هذا يحب شخصين في وقت واحد ! لذلك كانت تحاول تبرير تصرفاتها اتجاه "عزيز" وتلقي عليه اللوم لأنه أحبها بجنون وهو على دراية بقصة حبها لـ "طارق عوادي" في قولها : « إن رغبت أن نظل مجرد أصدقاء فهذا لا يزعجني وإن رغبت أن تتطور علاقتنا فتصبح أكثر من الصداقة فأنا أقبل ولكن بشرط واحد لن أترك "طارق عوادي" أبداً »⁽¹⁾، فعزير كان المنقذ والملاذ لـ "ليلي" ، فأثناء فترة تعارفهما توترت علاقتها بالبروفيسور "طارق" ، فلجأت إليه لمدوات جراحها ، ولملأ الفراغ الذي تركه في قلبها في قولها : « أنت كنت المنقذ في السنة بالذات حيث توترت علاقتي به توتراً شديداً ، خاصة أنه صار يخاف من أن تكتشف زوجته أمره ، وهي سيدة ذات جاه ومال وعلاقات أخطبوطية كثيرة »⁽²⁾ فالحب الذي كان يجمعهما يصنف في خانة الحب الغريب، فقد كانا يلتقيان في الفندق ويمارسان علاقتهم الجنسية ويشبعان رغباتهما بالرغم من إحساس "ليلي" بالحب اتجاه شخص ثانٍ لتمر سنين الفراق والبعد كلمح البصر على سفرها إلى كندا وزواجها، لترسل برسائل اعتذار لـ "عزيز" الذي أحس بأنها تحبه في مكان ما من قلبها وأنها لا تستطيع العيش من دونه ولم تنسه قط كما لم ينسها هو ولم يطلقها من ذاكرته رغم كل ما جرى بينهما واستغلالها لحبه انتقاماً من حبيبها الذي لم يكن يحبها بقدر ما أحبها "عزيز" .د.

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 216

(2) المصدر نفسه ، ص 213

ب_ مسألة الكراهية :

الكره هو ذلك الإحساس بالمقت اتجاه شخص آخر وهو النقيض الواضح لمفهوم الحب كما يمكن أن ينضوي تحت شعار الكره حقل دلالي واسع يحمل كل أشكال الحقد والعنف وحتى الغيرة، ويمكن أن تكون هذه الأشكال ظاهرة في مثل كره ومقت شخصيات الرواية للنظام والوضع السائد في معظم لقاءاتهم وأحاديثهم في قول "عزيز مالك" في مقتته للنظام : « توقفوا عن الكذب قليلاً... انزلوا أيها الكلاب التي ترتدي بدلات مستوردة من إيطاليا وفرنسا إلى شوارع مدنكم وقراكم وسترون كيف هي حياة الناس التعيسة »⁽¹⁾، وفي قوله أيضاً «لهذا السبب أرغب في أن يتهدم هذا النظام من أساسه »⁽²⁾، فالمتصفح للرواية يظهر له جلياً المقت والكره الذي تكنه معالم الرواية للوضع الراهن والنظام السائد، أما ثوب الغيرة والصراع فقد تجسد بين شخصيتي "جمال كافي" و "سمير عمران" كانت بدايته فوز "سمير" بالجائزة الشعرية والذي أثر على نفسية "جمال"، ويظهر ذلك في مقطع الرواية أثناء حوار "عزيز" مع "سمير" بقول هذا الأخير « آه ، لا تذكرني بها ، لقد سببت لـ جمال إحباطاً كبيراً وقاسياً... وكادت علاقتنا تسوء لولا أنني في النهاية اقتسمت معه ذلك المبلغ الزهيد حتى لا يغضب مني لكن شعرت أن ذلك لم ينقص من غضبه... »⁽³⁾، فعلاقة "سمير" و "جمال" لا يمكن فهمها، فالظاهر يوحي على صداقة متينة، وفي الباطن صراع خفي وتقدم "باية" ذلك من خلال حوارها مع "عزيز" بقولها: «... كان يربطهم شيء متين ومنافسة

(1) ،بشير مفتي، الرواية ، ص 94

(2) المصدر نفسه، ص 59

(3) المصدر نفسه،الصفحة نفسها

غير مرئية وصراع حاد وشرس في الآن ذاته ،كانا يكملآن بعضهما ...شعرت أنهما يمثلان لبعضهما البعض التحدي الأخطر» (1)

إن "سمير عمران" و"جمال كافي" شخصيتان متنافرتان و متجاذبتان في الوقت نفسه جذبتهما نورانية الشعر، ونفرتهما امرأة شيطانية بحكم أن "باية" كانت على علاقة مع "سمير" و "جمال" في الوقت ذاته ، وفي حديثنا عن الكره والمقت جاء تصريح "باية" بقولها :« كان ضعف "سمير" النفسي نحوي يريكني ويجعلني أمقته مرات عديدةوكلما نفرت منه كنت أكره تشبثه بي »(2) فحب "باية" لـ"سمير" جاء انتقاما بسبب تخلي "جمال" عنها ،فسبب تعودها على سلطة "جمال" وكبريائه عليها مقتت ضعف "سمير" .

ساهمت ميزتا الحب والكراهية في تحريك وبلورة الأحداث، فرغم أن الصفتين متناقضتان لكن سارتا جنباً إلى جنب في تحريك أفعال و سلوكات الشخصيات ،فظهرت لنا مختلف العلاقات بين الشخصيات حتى وإن كان ظاهرها وباطنها مختلفان مثل علاقة "سمير" بـ"جمال" .

2- الشخصية الاستذكارية:

«هذه الفئة يكمن دورها في ربط أجزاء العمل السردى بعضها ببعض .إن الإمساك بهذه الشخصية يحتاج إلى الإلمام بمرجعية السنن الخاص للعمل الروائي» (3)، فالشخصية الاستذكارية إذن جاءت من أجل التنظيم والربط بين أجزاء العمل الأدبي، ولها دور في تنشيط ذاكرة القارئ من خلال مجموعة من التقنيات كالتمني والاعتراف والتكهن والذكرىوتختلف هذه التقنيات باختلاف أحداث الرواية .

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 191

(2) المصدر نفسه ، ص 192

(3) فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص 09

ومن هذا المنطلق تعتبر شخصيتنا "بشير مفتي" و "جمال كافي" شخصيتين استرجاعيتين استذكاريتين ، فرواية "غرفة الذكريات" بمثابة استذكار واسترجاع لأحداث ماضية ،وكأن الراوي يعمل على كتابة سيرته الذاتية على لسان البطل "عزيز مالك" فحسب "فيليب هامون" هي عبارة عن مشاهد منها التمني ، الذكرى ، الاعتراف والتي يعتبرها « أفضل الصفات والصور لهذا النوع من الشخصيات ومن خلالها يقوم العمل بالإحالة على نفسه بنفسه »⁽¹⁾ ،ومن المهم جدا أن نستعرض هذه الصفات المجسدة في الرواية:

أ- التمني:

التمني هو شعور داخلي يسعى الإنسان من خلاله إلى تحقيق رغباته وطموحاته وآماله وليست بالضرورة أن يحقق الفرد ما يتمناه ، فإن حققها ترتقي إلى مرتبة الحقيقة ويشعر بالراحة النفسية ، وإن تدخلت الظروف والقدر والزمان ولم يحققها و ظلت قابضة في قيد المجهول، ويظهر ذلك من خلال تمني البطل تحقيق حلم الكتابة في قوله : « تمنيت كتابة تلك الرواية فقط ولا أستطيع ، وأتساءل: متى سأقدر؟ وهل هو مهم من "عزيز مالك" .. الذي هو أنا أن يكتبها حقاً»⁽²⁾ و"غرفة الذكريات" دليل على تحقيق أمنيته ، وبحكم أننا نعيش في عالم نسبي بعيد كل البعد عن المطلق ،يمكن لبعض الأمناني أن لا تتحقق لسبب أو لآخر مثل :عدم تغيير الوضع في سنوات السبعينات وبداية الثمانينات ،وجاء مقطع الرواية كالاتي:« في نهاية الثمانينات كلنا كنا ننشد الخروج من تلك الدائرة فلقد كانت سنوات السبعينات المهينة والحالمة تقذف فينا شعوراً غريباً

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 25

(2) المصدر نفسه ، ص 82

بضرورة ذلك.... لكن انهارت كل تلك اليوتوبيا في الثمانينات ووجدنا أنفسنا نغرق في ذل الطبقة الفاحشة» (1)

الوضع السياسي والاجتماعي أثر على نفسية "عزيز مالك" وغيره من شخصيات الرواية حتى تمنى زواله واندثاره، فكان متمردًا على النظام ويريد التغيير، كما يمكن أن نتمنى رؤية أشخاص نحبههم أو حتى نكرههم لبقاء حسرة في قلوبنا لم نتمكن من البوح بها ، فكان "عزيز" يتمنى رؤية "محمود" الذي صار وزيرًا ليخبره عن الشباب الذين قتلوا بسبب تحميسهم لهم بالقتال من جهة في قوله : « كنت أرغب أن يحدث ذلك في يوم من الأيام فأسأله :هل تذكر كم من شاب حمستم للجهاد وأكبرت فيهم رغبة الاستشهاد والموت ؟ كنت أتمنى لو رأيته وقلت له ذلك الكلام لكنني لم ألتق به قط» (2) ، ومن جهة أخرى تمنى "عزيز" عودة طفولته وأيام براءتها وأمّه الحنون في قول السارد: « ...لأنني كنت مدركًا أنه في اليوم الذي تغادرك فيه طفولتك سيتسلل إليك ذلك الإحساس الغريب بالرغبة في الموت...فالألم هي التي تعطي لحياة الطفل لونها الجميل ، بلا أم لا نشعر إلا أننا أخفقتنا حياتنا بالتأكيد ، وعندما نكبر لا شيء غير ذلك الصوت الأمومي الرقيق هو الذي يثير فينا روائع من الحب والشوق» (3)، فالتمني مرتبط أشد الارتباط بما ترغب به النفس في تحقيق أمر ما ، أو حتى تغيير واقع ما ، فمعظم الأمنيات في الرواية دخلت في بوتقة التغيير خاصة ما تعلق بالبطل "عزيز" ورغبته في تغيير الواقع.

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 97

(2) المصدر نفسه، ص 91

(3) المصدر نفسه، ص 105

ب-الذكرى :

جاءت الرواية كسيل وابل من الذكريات والتذكرات ، وجاء عنوانها كمفتاح للولوج إليها بحكم أن شفرة العنوان دليل على ما تحمله هذه الرواية من ذكريات سعيدة كانت أو حزينة ، فلكل منّا في جزء من ذاكرته ذكريات شكلت منعرجاً حاسماً في حياته ، قد تكون فردية تخص شخصاً معيناً كأعياد الميلاد أو النجاح المدرسي مثلاً ، وقد تكون جماعية يشاركها المجتمع ككل، فامتزجت رواية "غرفة الذكريات" بين ما هو فردي يخص البطل "عزيز" فأثناء تذكره لأمه وطفولته يقول :

« لا أدري لماذا تذكرت تلك الحوارات القصيرة وأنا طفل ؟ هل لأن الجنة في خاطري صارت أشبه بالحلم المستحيل... أم لأنه مع النشوة يصبح كل العالم بريئاً جداً مثل براءة طفولتنا الجميلة؟»⁽¹⁾

دون أن ننسى الذكرى الحاسمة التي فجرت هذه الرواية وهي ذكرى "ليلي مرجان" لـ "عزيز مالك" من خلال إرسالها لرسالة تعتذر فيها وتذكره بحبها، رسالة جاءت بدايتها « لا أدري إن كنت نسيته أم لا ؟ لكن أنا أذكرك رغم الخمس عشرة سنة التي مضت ... أتذكر ذلك اليوم رغم أنني لم أبال به لعدة سنواترسالة لم يكن فيها إلا ذكريات قديمة ، لكن كأنها أيقظت فيّ حنيناً غامضاً لسنوات الحب المجنونة...»⁽²⁾، أما الذكرى الجماعية فجاءت من خلالها الرواية لتعبر عن مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر مرحلة العشرية السوداء، التي أثرت على نفسية شخصيات الرواية، فسببت لها الكثير من الصراعات النفسية والمشاكل الاجتماعية والسياسية ، وذلك في قول السارد :« لقد سحنت نفسي في حياة الوحدة لفترة طويلة بعد عشرية السنوات المذمومة، عندما سال الدم بطريقة مؤلمة و مفجوعة، صرت أكثر يأساً من العالم الذي أعيش فيه.»⁽³⁾ ، فهذه

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 104

(2) المصدر نفسه، ص 13

(3) المصدر نفسه ، ص 18

الذكريات سواءً الفردية أو الجماعية هي بمثابة نقطة من بحر الذكريات الواسع ، لأن الرواية ككل عبارة عن ذكريات حزينة كانت أم سعيدة لكل من "بشير مفتي" و "عزيز مالك" والتي تعمل كل منها على ربط ومشاركة القارئ في الأحداث وكأنه جزء من هذه الذكريات .

ج- الاسترجاع :

يعتبر الاسترجاع من المفارقات الزمنية نحو الماضي، فهي من الصفات التي يتميز بها الفرد، ومن خلالها يستطيع الرجوع إلى الوراء وتذكر الماضي بحسنه و سيئه، بحزنه وفرحه، بنجاحه وفشله، ورواية "غرفة الذكريات" تقوم على عملية استرجاعية كبرى من بدايتها إلى نهايتها، فالاسترجاع يشكل دوراً كبيراً في سيرورة الأحداث فيها فـ "بشير مفتي" و "عزيز مالك" يتذكran أحداث ماضية من حياتهما، وينتقلان من الماضي إلى الحاضر بسلاسة ورشاقة ،ويظهر ذلك في قوله: « كنت يائساً ومشبعاً بالألم الذي ولد في زمن مضى ...أصبحت مختلفاً عن ذاك الشاب الذي سأحكي لكم عنه تغيير التاريخ بسرعة ، انتهت سنوات الحرب القدرة بلا رابح أو خاسر»⁽¹⁾

فمعظم الاسترجاعات ارتبطت بأحداث مهمة من حياة "عزيز مالك" من براءة طفولته وجنون مراهقته ، وحلم حياته الذي أراد تحقيقه وعمره يناهز الخمسين سنة ، فهو يحن لبراءة طفولته لأنه عندما كبر أحس بالتعاسة وتمنى لو أنه بقي طفلاً بريئاً في قوله « لكن الطفولة كانت دائماً حاضرة فيّ على الدوام، منقوشة في صدر الحلم نفسه ،لأنني كنت مدرّكاً أنه في اليوم الذي تغادرك طفولتك سيستل إليك ذلك الإحساس الغريب بالرغبة في الموت ،وشعرت في تلك اللحظة بالحنين إلى أمي »⁽²⁾

(1) بشير مفتي، الرواية، ص 104

(2) المصدر نفسه، ص ص 16، 17

دون أن ننسى ذكره "مع" ليلي مرجان" والتي أسهمت في ولادة هذه الرواية، فرغم مرور السنين لم تغادر ذاكرته وجاء في مقطع الرواية « لم أكن نسيت أو طلقت " ليلي مرجان" من ذاكرتي عندما وصلتني رسالتها المفاجئة»⁽¹⁾ ، فشخصية "عزيز" هي شخصية استرجاعية بالدرجة الأولى ، كما أن للتواريخ الزمنية (1990_1996_2010) دوراً هاماً في إيضاح وتبيان الاسترجاعات الواردة في الرواية ومساعدتنا في اكتشافها، و الواضح جلياً أن هذه الرواية زاخرة بالاسترجاعات التي هي أساس بناءها وسيرورة أحداثها .

د- الاعتراف (الإقرار) :

وهو أن تعترف الشخصية بشيء ما يخصها، ويعتبر من التقنيات السردية التي تتميز بالواقعية فمن خلالها تشعر بأن الأحداث التي ينقلها ويسردها الراوي صادقة نابعة من أعماقه و« باعتبار نصوص الاعتراف نصوصاً تنطلق من المحتجب إلى الظاهر، ومن الأنا إلى الأنت ،ومن الذات إلى الآخر»⁽²⁾ ، فإن هدفها الإفصاح عما يختلج في أغوار النفس الإنسانية.

تعد رواية **غرفة الذكريات** بمثابة نص اعترافي بامتياز، لاحتوائها على جملة من الاعترافات النفسية المحرجة المتعلقة خاصة ببطل الرواية "عزيز مالك" ،بحكم أنها جاءت كسيرة ذاتية عن حياته وحياة الراوي ومن بين اعترافاتها ما يتعلق بموضوع الصلاة وجاء في مقطع من الرواية :«شعرت أنني كنت عندما أذهب معهم إلى المسجد وأصلي كنت أقلد أبي وإخوتي...لكن لأقل الحقيقة لم تلمسني قط أشعة السماء السعيدة ،ولم يهتز قلبي لشيء خارق ، ولم أشعر أنني في

⁽¹⁾ بشير مفتي ، الرواية ، ص 21

⁽²⁾ شريبط أحمد شريبط، سميائية الشخصية الروائية ،ص225

صلاتي كنت أخشع بحق كما يقولون هم عن الشعور الذي يسكنهم أثناء تأدية الصلاة»⁽¹⁾ ، إن هوسه بالمطالعة دفعه إلى درجة تركه للصلاة والابتعاد عنها من شدة تأثير الروايات الغربية على فكره وهو في سن مبكرة، وباعتبار الاعتراف «ترجمة ذاتية تتعمد عرض مواقف نفسية وعاطفية خاصة»⁽²⁾ و جاء في الرواية ما يدل على غرابة هذه الميولات النفسية وجمال المشاعر العاطفية ، فمقطع الرواية فيما يخص النظرة الأولى جاء كالاتي: «أذكر تلك السنة التي بدأت أطالع فيها بجدية وشغف كانت تلك الرواية هي الجلد المسحور لـ "بلزلك" وغرقت معها كما يغرق عاشق في ملذات عشقه دون أن ينتبه لأي شخص آخر من حوله نسيت الوقت والمكان وكل شيء وظننت نفسي انتقلت بخيالي إلى ذلك الزمن الباريسي ، بكل ما فيه من سمر ومغامرات جذابة أسرة لخيال طفل ، كان عمري اثنتي عشرة سنة ووجدت صعوبة في ترك تلك الرواية من يدي حتى أنهيتها ... ، في البداية شعر الجميع بالدهشة وهم يشاهدون هذا السلوك الغريب يصدر مني ، ثم تحولت دهشتهم إلى فرح واعتزاز بهذا الابن الذي يفضل القراءة على اللعب ... ، ثم إلى استفهام ... أليس الأحسن لك أن تقرأ كتبك المدرسية ؟ ... لكنني صحيح لم أكن أعشق قراءتها ، فلقد كانت تبدو لي أقل من مستواي الحقيقي»⁽³⁾ ، فميولات "عزيز مالك" الطفولية كانت بعيدة كل البعد على ما يجب أن تكون عليه من لعب وقراءة قصص الأطفال ، لتتحوا مني آخر وصل إلى درجة قراءته لروايات "بلزلك" و "ألبرت كامو" وغيرهم وهو في سن الثانية عشرة ، والتي أثرت بشكل

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 39

(2) سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، ط 1 ، بيروت ، 1985 ،

ص 149

(3) بشير مفتي ، المصدر السابق ، ص 38

سلبى على فكره وسلوكه ، حتى أنه ترك صلته من جراء المطالعة « والحق أنني كنت أحب الصلاة إلى غاية تلك السنة التي بدأت فيها المطالعة »⁽¹⁾.

أما النظرة الثانية الدالة على غرابة الحب وجماله في آن واحدا فيقول "عزيز" في مقطع من الرواية « أعترف لكم أنه حب غريب ، ولكن كنت كلما التقيت بها بغرفة في فندق ونقضي ليلتنا مع بعض ،.... اكتفيت بهذا الشكل من الحب وإن لم يرضني تمام الرضا ...، فالحب الذي تشعر أنه يستحيل عليك تملكه يثير فيك فوضى لا نهائية وشغفاً جنونياً كبيراً »⁽²⁾ ، دون أن ننسى تلك الاعترافات المحرجة والخطيرة والتي يجب أن يملك صاحبها الجرأة على البوح بها بحيث « تمتلك الاعترافات جرأة خاصة على الوصف والإدلاء بالأحداث الأكثر شخصية والأكثر مخلة بالأعراف والأخلاق العامة »⁽³⁾ ، في مثل اعتراف "عزيز مالك" عن سبب اقترابه من الشرب « يجب أن أعترف أنه قبل ذلك بسنة فقط لم أكن أجروء على الاقتراب من الحانات التي كنت أبصرها عن بعد ومنظرها كان يثير في النفور الشديد ... كان عندي باختصار مفيد أفكارى السيئة عن الشرب هذا ...، فلولا الأدب الذي فجر بداخلي كل تلك اليقينييات لكنت بقيت في ذلك العالم الأول أعيش فيه مطمئن الروح دون أي مشكلة »⁽⁴⁾، فالراوي على لسان "عزيز" يتهم الأدب بأنه السبب وراء إقباله على الشرب ، وهذه نظرة خاطئة فالأدب يسمو بك إلى درجة من الرقي والثقافة وليس العكس اللهم إلا إذا كان الشرب معيار لقياس درجة التحضر والتمدن ، ومن بين الاعترافات اللاأخلاقية المذكورة في الرواية اعتراف البطل بانجذابه للفتاة "سالي" والتي كانت تعمل نادلة في حانة "أرزقي" في

⁽¹⁾ بشير مفتي ، الرواية ، ص 39

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 30، 31

⁽³⁾ سعيد علواش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ص 149

⁽⁴⁾ بشير مفتي، المصدر السابق، ص 216

قوله « انجذبت نحو جسدها البض المتمایل ومؤخرتها المكورة بجمال والتي كان الجميع ينشدوها في تلك اللحظة التي يذهب العقل فيها إلى بعيد ، وتستيقظ حواس الشيطان إلا أنني بقيت مشدود النظر لـ سالي أتبعها بنظري وأغرق في جسدها نصف العاري حتى انقضت عليها ...» (1)

جاءت الرواية مليئة بالاعترافات الأخلاقية والأخلاقية وما ذكرناه مجرد عينات على ذلك إن ما يتميز به أدب الاعتراف هو موضوع التطهير، الناتج عن رغبة في التحول من السيئ نحو الأحسن ومن المدنس نحو الطاهر، ودليل على أن هذه الأخطاء أثقلت صاحبها وهو نادم عليها ويتمنى لو بقي طفلاً بريئاً لم يُحمل كاهله بأعباء هذه الآثام الدنيوية.

3_ الشخصية الإشارية

وهي قناع الراوي يتستر وراءه لإخفاء الحقيقة أي « الشخصيات الواصلة الناطقة باسم المؤلف ، وأكثر ما تعبر عن الرواة والأدباء» (2) والتي تعد «دليل حضور المؤلف أو القارئ ، أو من ينوب عنهما في النص ، شخصيات ناطقة باسمه ، جوقة التراجيديا القديمة ، المحدثون السقراطيون ، شخصيات عابرة رواة وما شابههم» (3) ، هذا النوع من الشخصيات بمثابة قناع يتستر وراءه الكاتب وينوب عنه من أجل إبداء فكرة أو الهروب من السلطة ، أو توصيل رسالة لفئة ما بطريقة غير مباشرة ، لكن في بعض الأحيان يكون من الصعب الكشف عن هذا النمط من الشخصيات بسبب تدخل بعض العناصر المشوشة التي تحول دون الفهم المباشر لحقيقة ومعنى الشخصية (4)

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص ص 140 ، 141

(2) فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، ط1، الجزائر، 2010، ص218

(3) فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص24

(4) ينظر : حسن بحرأوي ، بنية الشكل الروائي "الفضاء ، الزمن ، الشخصية"، ص217

جاءت رواية "غرفة الذكريات" كسيرة ذاتية عن حياة "بشير مفتي" على لسان "عزيز مالك" من خلال استعماله لضمير المتكلم في قوله « تبدأ الرواية هكذا...اسمي عزيز مالك»⁽¹⁾ في المقدمة الاستهلالية، ثم ينقل إلى السرد بضمير الغائب حين يتعلق المقام بالحديث عن صديق أو صديقة، ليكمل سرده لتفاصيل حياته متسترًا وراء شخصية البطل ليظهر أحيانًا بوضوح من خلال بعض الكلمات المفتاحية والمقاطع النصية مثل : كيف بدأت أفكر في كتابة هذه الرواية ، كتبت في كراستي، لا....لم تنته الرواية بعد....انتظر قليلا ، من دفتر يوميات عزيز مالك ،... من خلال الاشتغال على نظام التناوب بين الأبطال باعتبار الكاتب بطلاً من الرواية فمن الطبيعي أن تتكفل كل شخصية بحكي ما يتعلق بها (2)

من خلال هذا كله يتضح لنا أن شخصية "عزيز مالك" شخصية إشارية نابت عن الكاتب "بشير مفتي" وتمكنت من كشف الغموض عن شخصه، لذا سنحاول التعرف عليها عن كثب.

_عزيز مالك

الأمر الذي يجعل من "عزيز" شخصية إشارية يتستر وراءها الكاتب وتتوب عنه هو اعترافه بعدما وصلته رسالة "ليلى مرجان" والتي أيقظت فيه الحنين للماضي في قوله « أما الرسائل التي وصلتني تباعًا فهي التي بطريقة أو بأخرى حركت كتابة هذه الرواية الوحيدة ، التي أظني قادرًا على كتابتها بحماس فياض ، قد يعطيها قوتها وتماسكها الذي كنت أبحث عنه لكي

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 11

(2) ينظر : حميد لحداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار

البيضاء المغرب، 2000، ص49

أسرد تلك الفسيفساء من الأحلام الضائعة ، والذوات المعذبة التي عاشت في دكنه أزمة سوداء «(1) ونتيجة لما عرفته الجزائر في فترة التسعينيات من اغتياالات جماعية، واغتصابات وقتل المثقفين إلخ وغيرها من الأحداث الدامية (2) ، جعلت الكاتب يختفي وراء شخصية "عزيز مالك" خوفاً من الاعتقال أو القتل بسبب تأزم الأوضاع السياسية في تلك الفترة.

وباعتبار شخصية "بشير مفتي" عايشت تلك الظروف بكل تفاصيلها، فإن عنوان الرواية ما هو إلا استرجاعات ماضية لهذه الحقبة الزمنية المأسوية من تاريخ الجزائر على لسان "عزيز" في قول الكاتب عن كيفية بدءه في كتابة هذه الرواية « الشعور بالوحدة مؤلم جدا ، اسمي عزيز مالك في هذه السنة 2010 صار عمري خمسين سنة ،... في هذه السنة 2010 واجهت ذاتي وروحي وعقلي وجسدي... هل حان الوقت لكي أكتب ما حلمت به منذ أن شعرت بتلك الرغبة النارية....»(3)

فرواية "غرفة الذكريات" جاءت كسيرة ذاتية عن حياة "بشير مفتي" الذي راح يسرد لنا تفاصيل حياته على لسان "عزيز" ، وأنه بدأ يفكر في كتابة هذه الرواية بعدما غاب أصدقاؤه عنه ووجد نفسه وحيداً ، فهو بحاجة إلى الكتابة لينقذ نفسه من كابوس العشرية السوداء وما تركته من أثر في حياته .

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 22

(2) ينظر : الخطاب ، دورة أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، دار الأمل ، تيزي وزوو ، العدد 5 جوان 2009، ص 109

(3) بشير مفتي ، المصدر السابق، ص 175

الجنس والدين متناقضان دلاليًا مرتبطان لكثرة شيوعهما بين الناس ، فالأول جسدي زائل والثاني روعي سرمدى⁽¹⁾ ، وكان حضورهما في الرواية حضورًا قويًا أو بالأحرى من أجراً وأعقد ما اعترف به "عزيز مالك" حيث كان بعيد كل البعد عن الصلاة ، قريب كل القرب من الحانات والشرب وممارسة الجنس سواء مع "ليلي" حبيبته أو أي مومس يجدها « عندما يذهب العقل فيها إلى بعيد ويستيقظ حواس الشيطان في جسد الإنسان »⁽²⁾ ، وهذه أمور لا يستطيع الكاتب الإفصاح عنها مباشرة والتكلم بلسانه لذلك اختار التستر وراء قناع البطل "عزيز" كونه يعيش في مجتمع إسلامي يعتبر الدين مقومه الأساسي.

إن "عزيز مالك" شخصية يتقمصها الكاتب "بشير مفتي" فكل التجارب التي مر بها عزيز، ما هي إلا مراحل من حياة "بشير مفتي" خاصة ما تعلق بالعشرية السوداء تلك الحقبة التي أثرت على نفسيته، ويتجسد ذلك في أعماله التي دارت أحداثها في حيز زمني محدد من تاريخ الجزائر فـ"عزيز مالك" ما هو إلا صورة عن حياة "بشير مفتي" وتجاربه .

(1) ينظر : الخطاب ، دور أكاديمية محكمة تعني بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب ، ص 105

(2) بشير مفتي ، الرواية ، ص 140

الفصل الثاني

أبعاد الشخصية وعلاقتها بالمكونات السردية الأخرى

1. أبعاد الشخصية

1. البعد الفيزيولوجي

2. البعد الاجتماعي

3. البعد النفسي

4. البعد السياسي

II. علاقات الشخصية بالمكونات السردية الأخرى:

1- بالزمان

2- بالمكان

I- أبعاد الشخصية :

إن كل روائي أثناء بناء شخصياته لابد أن يرسمها ويضعها داخل قالب الأبعاد التي لا يمكن أن تخرج منه، فكل فرد فينا يتصف بأبعاد جسمية خارجية، نفسية داخلية، في إطار مجتمع خاص ومحدد تحكمه عادات عرقية، وأنظمة اجتماعية وسياسية، كما تعتبر هذه الأبعاد أساس البناء الفني وهي :

البعد الفيزيولوجي : (الخارجي)

هو دراسة ووصف حالة الإنسان ومظهره الخارجي حيث « يهتم القاص خلال هذا البعد يرسم شخصيته من حيث طولها وقصرها ، ونحافتها وبدانتها ولون بشرتها والملامح الأخرى المميزة »⁽¹⁾، أي الحالة العضوية الجسدية التي تميز الفرد عن غيره ، وهي فطرية في الإنسان يولد ويموت بها « لهذا يلجأ الروائي إلى وصف ملامحها ، وقامتها ، وصوتها ، وملابسها وسنها »⁽²⁾، أي الشكل الخارجي وكل ما يتصل بحالة الإنسان العضوية من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا التعرف على المكانة الاجتماعية للشخص من خلال هذه الصفات الخارجية كالملاص مثلاً .

ويظهر هذا البعد في رواية "غرفة الذكريات" من خلال عدة شخصيات وعلى رأسهم المرأة التي خصها "بشير مفتي" بالوصف الخارجي أكثر من بقية الشخصيات « فميزة الجاذبية لا تتوفر عليها جميع الشخصيات النسائية في الرواية على وجه الإطلاق ، وإنما هي قاصرة على فئة

⁽¹⁾ شريط أحمد شريط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1998، ص36

⁽²⁾ علي عبد الرحمن فتاح ، تقنيات بناء الشخصية في رواية " ثرثرة فوق النيل " مجلة كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين العدد 102، ص 49

مخصوصة منهن يكون لديها من الصفات المظهرية ما يؤهلها لأن تقوم كبؤرة للإغراء ومصدر لجلب ألباب الناظرين»⁽¹⁾

"فليلي مرجان" خصها "بشير مفتي" بالوصف الخارجي « فشعرها الأسود الطويل الذي تتركه متهدلاً على كتفها والذي يحولها إلى عروس بحر نادرة يهتف لها البحارة والمغامرون ويكتب عنها الشعراء أحلى وأجمل القصائد ،عيناها السوداويتان الواسعتان اللتان تشعان الناظر إليهما كأنه يسافر في ليلة داكنة السواد مقمرة الوجه»⁽²⁾

إضافة إلى "ليلي مرجان" نجد نموذجاً آخر للمرأة، يتمثل في شخصية "باية" التي تتميز بذلك « الوجه الجميل المرسوم بعناية ودقة ، وهذا الشعر الأشقر الذي يعطيها ملامح امرأة أوربية فاتنة»⁽³⁾ ، فالوصف متعلق بدرجة قرب أو بعد الشخص الوصف فإذا أحب الحبيب حبيبه لم ير منه عيوبه وهذا ما حدث لـ "سمير عمران" الذي رأى في "باية" مالم يستطع الآخرون رؤيته فيها في قول السارد: « وجاءت هي كقمر منير في ليلة حزينة ، لا أخفيك استبدت بي في تلك اللحظة التي دخلت فيها لا يهم الأوصاف التي سأمناها لها ولكن تلك الأوصاف هي أوصافي أنا ،ليست بالضرورة هي هكذا في أعين الآخرين تختلف الأوصاف لأن الوصف يكون شاعريا عندما تلتهب المشاعر، يكون حاراً عندما يحترق القلب والذي لا يحترق قلبه لا يعرف كيف يصف ، وكيف يعبر عن المرأة أحسن تعبير »⁽⁴⁾ ، فالإنسان المحب مثل "سمير" وغيره يتصيد اللحظة حين يكون الوصف شاعرياً، فينتج عنه صورة امرأة وكأنها مرسومة أو خارجة من لوحة فنان ، لا تشوبها الشوائب ولا تدنسها النقائص ، ليكمل الراوي وصف نماذجه النسائية فهو لم يتوقف عند

(1) حسن بحراني ، بنية الشكل الروائي "الفضاء ، الزمن ، الشخصية" ،ص275

(2) بشير مفتي ، الرواية ، ص74

(3) المصدر نفسه، ص178

(4) المصدر نفسه ، ص 168

ليلى" أو "باية"، بل تعداها إلى "سالي" تلك المرأة التي ألهمت مشاعر البطل "عزيز" وهو في حالة سكر، فراح يصفها بكل تفاصيل جسدها « وأنوثتها الطاغية الكافية لصرفه عن لا مبالته وجعله يقع فريسة لمفاتها وإغراءاتها »⁽¹⁾، في قول السارد: كانت هناك امرأة في مقتبل العمر هي التي تقوم بدور النادل ، تحمل سيجارة غير مشتعلة بين إصبعيها وتتحرك برشاقة ودلال ، تحضر المشروبات لمن يطلب، انجذبت نحو جسمها البض المتمايل ، ومؤخرتها المكورة بجمال والتي كان الجميع ينشد ودها في تلك اللحظة التي يذهب العقل فيها إلى بعيد «⁽²⁾ ، بالرغم من أن هذه المرأة الأخيرة لم تكن سوى علاقة طارئة في حياة البطل في لحظة طائشة من لحظات السكر ، وبديلاً مؤقتاً لإسكات رغباته وشهوته ، إلا أنها نجحت في الاستلاء عليه وزجه في متاهات الاشتهااء الجنسي، ويظهر ذلك في الرواية في قول الراوي: « ورغم أننا لم تمكث إلا ساعات في تلك الحانة الموريسكية ...إلا أنني بقيت مشدود النظر إلى سالي أتبعها بنظري وأغرق في جسدها نصف العاري وأنا أحس بأن كل شعرة في جسمي تستيقظ وتريد الانقضاض عليها ...لكن إعجابي بها تجاوز الحدود ...أخذتها على جانب وقلت لها : جميلتي لا أعرف ماذا أقول لك ؟ أنت سحرتني ، فنتنتني ، هيجت أشواقي كلها ورغباتي وأريدك الآن ...»⁽³⁾

زيادة على هاته النسوة ذكر كلا من "سوسن" عاهرة "مختار سالمى" أحد أصدقاء عزيز من الدراسة والذي كان يحبها ولم تبادله الإحساس لأنها تحب المال بحكم عملها ، والعاهرة الأخرى التي جاء بها "مختار" في أحد الأيام وهذا ما سبب له بعض المشاكل مع الجيران ، فقد خصهما بوصف واحد وهو عاهرتي الجميلة ، وبهذا الشكل يمكن اعتبار "بشير مفتي" من بين الروائيين

⁽¹⁾حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، " الفضاء ، الزمن ، الشخصية" ، ص 277

⁽²⁾بشير مفتي ، الرواية ، ص 140

⁽³⁾المصدر نفسه، ص 141، 142

الذين حطوا من قيمة المرأة وجعلها جسداً قبل كل شيء ، فأوصافه التي خصها بها ركزت فقط على مصادر الإغراء وسلطة الجسد التي تشكل محور الاستقطاب ، حتى ألفاظه المتعلقة بالمرأة جاءت ألفاظاً منحطة في مثل عاهرة ، مومس

بدأنا بوصف المرأة لاستحواذها على النصيب الأكبر من الوصف الخارجي ،على غرار شخصية البطل "عزيز" الذي قدمه الكاتب من خلال الوصف الداخلي له ، كما قدمه من خلال الحدث والحوار والمكان ، كما يهتم البعد الجسمي للشخصية بالمظهر الخارجي أي الهدام ونوعه ، فالتفاصيل الدقيقة هي التي تجعل من الأمر أكثر واقعية ، وخير استشهاد على ذلك ما حصل للمرشد "محمود" ونقلته من الدين إلى السياسة ،هذه النقلة التي أثرت حتى على هندامه في قول الراوي : «كان مرشد الجماعة في الحي شاباً متقد العينين ، وله لحية طويلة ويحمل سواكا ، ويتكلم باتزان ويخفض عينيه عندما يتكلم وكان الجميع يعتبره متواضعاً ومتخلفاً وذا سريرة نقية»،إلى غاية 2001 رأيت على شاشة التلفزيون وكان قد شذب لحيته وارتدى بدلة عصرية وعرفت أنه عين في منصب وزاري»⁽¹⁾،فالهدام صورة عاكسة لطبقة ومكانة الشخص الاجتماعية ، فالبعد الجسمي والاجتماعي مرتبطان ويوضحان بعضها البعض .

2_البعد الاجتماعي :

يهتم هذا البعد « بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها وميولها والوسط الذي تتحرك فيه»⁽²⁾ أي « الكيان الاجتماعي للشخصية وأهم ما يلفت النظر تحديد الحالة الاقتصادية التي ينتمي إليها هذا الإنسان ،وترتيبه في سلم المجتمع ، هل هو من عامة الشعب

⁽¹⁾ بشير مفتي ،الرواية ، ص ص85، 91

⁽²⁾ شريط أحمد شريط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص36

فقير أم أنه من الطبقة المتوسطة»⁽¹⁾، فهذا الجانب يتعلق بكل ما يحيط بالشخصية ، وما يؤثر في سلوكها وأفعالها ، ومعرفة مكانتها في المجتمع والطبقة التي تنتمي إليها .

جاءت شخصيات رواية *غرفة الذكريات* من طبقة اجتماعية واحدة ، فهي من عائلات فقيرة على العموم ، باستثناء شخصية *"باية"* التي كان والدها تاجراً وهذا ما منحها بعض الامتيازات لإكمال دراستها الجامعية والعمل بعد تخرجها كأستاذة للغة الفرنسية بجامعة بوزريعة ، على عكس شخصية *"عزيز مالك"* و *"سمير عمران"* اللذان عاشا الفقر والشقاء ، أما *"ليلى مرجان"* و *"جمال كافي"* ينتميان إلى طبقة متوسطة.

يلعب المستوى التعليمي دوراً أساسياً في تبيان المستوى الاجتماعي للفرد « فمن الطبيعي أن يكون للمرحلة التعليمية التي وصل إليها الإنسان أثرها الإيجابي، فمن أتت دراسته الجامعية يختلف في تفكيره وسلوكه عن ذلك الذي توقف تعليمه عند المرحلة الأولية»⁽²⁾، المستوى التعليمي والدرجة العلمية معياران من المعايير لقياس ومعرفة البعد الاجتماعي لشخصية ما فيختلف الإنسان الجامعي عن الإنسان الابتدائي مثلا في طريقة التفكير والسلوك وحتى المنصب الاجتماعي (العمل) ، فالعلم باب الرقي واعتلاء أسمى المراتب في السلم الاجتماعي ، وما نلاحظه على شخصيات الرواية أن الروائي ارتقى بمعظمها إلى درجة عالية من التحصيل العلمي ، ف *"عزيز مالك"* تخرج من كلية اللغة والأدب ، و *"باية"* التي أكملت دراستها الجامعية وبعدها تحصلت على منصب أستاذة، كما خص *"سمير"* و *"جمال"* بهوس الشعر، ليوضح بأن الجزائر حتى وهي في أشد أزماتها إلا أنها عرفت إبداعاً شعرياً وأدبياً ، لكن رغم المستوى العلمي إلا أن *"عزيز"* لم يكن

⁽¹⁾ شكري عبد الوهاب ، النص المسرحي ، دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة والمسرحية ، المكتب العربي الحديث ، الإسكندرية ، 1997 ، ص54

⁽²⁾ شكري عبد الوهاب، النص المسرحي، ص54

له « عمل قار فقد كان يساهم في بعض الجرائد مقابل مبالغ زهيدة كانت بالكاد توفر له بعض المقتنيات الصغيرة»⁽¹⁾ ، على عكس شخصية "باية" و" ليلى مرجان" اللتان كانتا تعملان في قطاعي التعليم والطب ، فالعمل كان ومازال من الصعوبات التي تواجهها الجزائر خاصة ودول العالم الثالث عامة نظراً للعوامل السياسية والاقتصادية المتدهورة .

في روايتنا هناك مثال واحد " للعلاقة الزوجية" حاولنا الوقوف عنده ،وهي علاقة والدي "عزيز مالك" هذه العلاقة التي أثرت وتركت بصمة على نفسية البطل « فتصرفات الوالدين يؤثر على الأولاد وسلوكهم إما بالإيجاب أو بالسلب »⁽²⁾ لذلك تأثر "عزيز" بذلك الجو الحميمي المستقر الذي كان بين والديه ويظهر ذلك في حديثه عن علاقتهما في قوله « كنت أشعر بالود العميق الذي بينهما وبالحب الذي لا يقال كلاماً ولكن تراه من خلال نظرات متشوقة لبعضهما البعض عندما يمرض واحد منهما ، أو عندما يسافر أبي في إطار عمله إلى مدن أخرى، فنحس بحزن أمني وقلقها حتى يعود سالماً آمناً إلى البيت وكانت عودته بمثابة ليلة عرس جديدة تحدث كلما غاب وعاد »⁽³⁾ ، فالتوافق والاحترام والحب من أهم العوامل التي كانت ومازالت تؤثر في العلاقة الزوجية بين الطرفين فالزواج هو ذلك «الرباط الشرعي الذي يربط بين الرجل والمرأة بغية تكوين أسرة سعيدة وإنجاب أولاد صالحين ، ويتعهد الطرفان أن يعيشا معاً في السراء والضراء وهو علاقة طبيعية وعاطفية واجتماعية ومن أهم العلاقات الإنسانية »⁽⁴⁾

(1) بشير مفتي ، الرواية، ص155

(2) شكري عبد الوهاب ، النص المسرحي، ص55

(3) بشير مفتي ، الرواية، ص46

(4) عبد الله خمار ، تقنيات الدراسة في الرواية (2) العلاقات الإنسانية ، دار الكتاب العربي الجزائر ، 2001،

جاء حب "عزيز" لـ "ليلي" حبًا أسطوريًا غريبًا فقد أحبها ، إلا أنه لم يستطع أن يتصل من شهبانته الحيوانية اتجاهها، فقد أخذ من علاقة والديه الحب المادي الذي يطغى على الجانب الروحي العاطفي، فقد كانت نظرة الروائي للمرأة على أنها جسد ومصدر للإغراء وإشباع الرغبات، وهذه النظرة الحقيرة كانت ومازالت عند ضعيفي الإيمان وأصحاب العين القاصرة ، « فكتاب الرواية المغربية لم يكونوا يلحون سوى على الجانب المظهري في تقديمهم لنموذج المرأة الجاذبة بحيث يبرزونه في المقام الأول من خلال تركيزهم على ملامح الجمال والتناسق في جسد المرأة»⁽¹⁾ ، فالمرأة قبل أن تكون جسدًا هي روح طاهرة تحمل قيمًا سامية للنضال والأمومة والحنان ، فالمرأة هي الأم والزوجة والصديقة والحبوبة والأخت بوجودها وجد المجتمع وبصلاحها صلح وازدهار، كما أن الإنسان ابن بيئته يؤثر ويتأثر بما يحيط من حوله سواءً في أفعاله أو تصرفاته، وهذا ما ينطبق على بعض شخصيات الرواية وعلى رأسهم "والدة عزيز" فعلى الرغم من أنها أصبحت تعيش في المدينة إلا أنها لم تتصل من ريفيتها في قول "عزيز" :

«...حتى إنها ظلت تسخر من كل امرأة تتشبه بالأوربيات ، أو بدل أن ترتدي الحايك العاصمي تلبس فساتين متحررة»⁽²⁾ .

تعتبر الصداقة من أسمى العلاقات بين البشر فهي أحيانًا تعادل علاقة الأخوة لأنها قائمة على أساس المودة والحب « في حين تبقى مسألة التوافق والانسجام في المستوى الثقافي والاجتماعي أمورًا أقل أهمية ، لأن الانجذاب الأولي في العلاقة يكون عاطفيًا وروحيًا لا يمكن أن يفسر ، حين يأنس كل من الواحد إلى الآخر فيكون سندًا له يبثه شكواه ويبادره بالنصح والتوجيه ،

(1) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، " الفضاء ، الزمن ، الشخصية " ، ص 276

(2) بشير مفتي ، الرواية، ص 45

في علاقة أساسها النقاء وصفاء النية ،إن ما يجمع الصديقين أمور لا غاية مادية لها «⁽¹⁾، وتظهر هذه العلاقة بين "عزيز مالك" و"جمال كافي" و"سمير عمران" جمعهم نورانية الشعر وهوسه ، فرغم أن علاقتهم لم تكن منذ الطفولة ،أو علاقة مجاورة،أو غيرها من العلاقات لبداية الصداقة إلا أنّ الظروف القاسية التي كانت تمر بها البلاد هي التي جمعتهم في حانة من الحانات يتبادلون أطراف الحكي في مختلف مواضيع الحياة خاصة العاطفية والسياسية ،فهذه الظروف قربت بينهم لدرجة أن "عزيز مالك" تشارك مع "جمال" بيته في يوم من الأيام ،لذلك فكل إنسان فينا ليس كاملاً يحتاج دائماً لصديق يقف بجانبه وقت الضيق يفرح لفرحه ،ويحزن لحزنه ، فرغم اختلاف الأصدقاء في نظرتهم لبعض المواضيع إلا أن كل واحد يكمل الآخر ويضحي من أجل الآخر،وهذا ما حدث لـ "سمير" بعد اكتشافه علاقة "جمال" مع "باية" فقد قرر الانتحار على أن يصارح صديقه ويخسره ، وهذا ما جعل جمال يتغير في قول الراوي :«...في داخله كان يعرف أن السبب الحقيقي كان يكمن في أن صديقه الوحيد يخونه مع حبيبته "باية" تلك التي كانت بالنسبة له الشمس والنور في ظلمات هذا البلد...لهذا السبب ما جعل "جمال" يتغير مائة درجة يصبح شخصاً آخر ، بل شخصاً منتحراً في الحياة دون أن يجرؤ على القيام بذلك في الواقع «⁽²⁾،كانت صداقة "جمال" و"سمير" علاقة غريبة نوعاً ما .

إن شخصية "باية" تمثل ذلك الحب الملعون الذي فرق بينهما ، لذلك تعتبر علاقة التنافس من بين العلاقات الاجتماعية التي تأخذ حيزاً كبيراً من العلاقات الإنسانية فكل من "جمال" و"سمير" كانا يريدان الظفر بـ "باية" حتى هي استغربت من علاقتهما في قولها «...عرفت

⁽¹⁾ ينظر: عبد الله خمار ، تقنيات الدراسة في الرواية (2) العلاقات الإنسانية ، ص ص 121 ، 122

⁽²⁾ بشير مفتي ، الرواية، ص 223

بصدقتهما العميقة والقوية والتي لم يكن سهلاً انتزاعهما منها... كان يربطهم شيء متين ومنافسة غير مرئية وصراع حاد وشرس في الآن ذاته وكانا يكملان بعضهما البعض بطريقة أو بأخرى لا أدري كيف رأيتهما حينها، ولكن شعرت أنهما يمثلان لبعضهما البعض التحدي الأخطر «(1)، الصداقة إكسير الحياة، فهي منزهة من كل غاية مادية بعيدة كل البعد عن المصالح والأغراض، وهي ككل العلاقات تصاب بالتوتر أحياناً وهذا ما حصل لـ "سمير" وخيانة صديقه له .

صورت الرواية من خلال البعد الاجتماعي للشخصيات، العلاقات الاجتماعية التي تتأثر وتتغير وتختلف، فامتزجت بين الحب والصداقة والمنافسة والتعليم، « وهذه المراكز الاجتماعية لها أهميتها البالغة في بناء الشخصيات وتبرير سلوكها وتصرفاتها »(2)، فالجانب الاجتماعي يعكس واقع الشخصية .

2_ البعد النفسي :

هو دراسة حالة الإنسان الداخلية وما يخالجه من مشاعر « حيث يهتم القاص خلال هذا البعد بتصوير

الشخصية من حيث مشاعرها، وعواطفها، وطبائعها، وسلوكها، ومواقفها من القضايا المحيطة بها»(3)، فالحالة النفسية تهتم بالقبض على الحالة الداخلية لشخصية ما وانفعالاتها السيكولوجية التي تؤثر على سلوكياتها، وتتعلق بالمزاج «و الميول، وما يعتري الإنسان من مركبات نقص تؤثر أكبر التأثير على كيانها الاجتماعي و الجسماني»(3)

(1)المصدر نفسه ، ص191

(2) علي عبد الرحمن فتاح ، تقنيات بناء الشخصية في رواية " ثرثرة وق النيل " ص51

(3) شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ص36

جاءت رواية **غرفة الذكريات** لتصور ذلك الواقع المتأزم التي كانت تعيش فيه الشخصيات ف **"بشير مفتي"** يظهر حالة التشتت والضياع التي كانت تتخبط فيها بعض الشخصيات، وعلى رأسهم **"باية"** التي كانت تعاني صراعاً داخلياً نتيجة عقدة ذاتية، تمثلت في حالة الانتقام التي سيطرت عليها من جراء عدم مصارحة **"جمال"** بحبه لها، لتجد **"سمير"** كأداة ووسيلة للانتقام « عندما أعلن **"سمير"** عن حبه لي في تلك الأمسية ، حتى أنا استغربت من ذلك التصريح الغريب.... ونظرت إلى **"جمال"** ... فوجدت ملامحه تغيرت فأجابني **"جمال"** بتصرف لم أتوقعه منه ، كان يريدني أن أتعرف على صديقه وأن أدخل في علاقة حب معه إن رغبتكنت أعلم أنه سيتعذب لو قبلت ... وقلت مع ذلك في رأسي : يستاهل ... هو من يجر قدميه إلى الجحيم ، هو من يدفعني لغيره ... وهذا أقل عقاب سأنزله عليه ..»⁽¹⁾، أورد السارد شخصية **"باية"** وهي محبة ومنقمة في الوقت ذاته، من جراء حالتها العاطفية المحطمة وأثوتتها المجروحة ، حيث اعتبرها **"جمال"** مجرد جسد دون مشاعر على عكس **"سمير"** الذي أحبها من النظرة الأولى دون مقابل ، أما **"جمال"** فمن الشخصيات « المركبة إذ هي نتاج مشاعر معقدة تجعلها تعيش ازدواجية أخلاقية واجتماعية تنعكس على سلوكها وتتحكم في المواقف المتعارضة التي تتخذها »⁽²⁾، فهو ذو سلوك مزدوج بقدر ما كان يحب **"باية"** بقدر ما كان مستتراً على ذلك خاصة على **"سمير"** ف **"جمال"** يشبع متطلباته الجسدية ويغير النساء مثلما يغير بدلاته، فالمرأة بالنسبة له إشباع للرغبات ، دون مشاعر ويظهر ذلك في قول الراوي : « تلك الصورة التي قدمها لنا بدت مهتزة فجأة أمام حقيقة لم يعلن عنها قط وظل يرفض أن يعترف بحبه الجنوني ل **"باية"** بقي حتى بعد انتحار **"سمير"**

(1) بشير مفتي ، الرواية، ص ص 191 ، 192

(2) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 315

عمران⁽¹⁾ يعاند قلبه ويرفض الاعتراف «⁽¹⁾» « فهذه الازدواجية السلوكية هي التي ستجعله يحدد سلوكًا معلنًا للخارج وآخر خفيًا للاستعمال الداخلي »⁽²⁾ وهذا ما حدث مع "جمال" من خلال إخفائه لحب "باية"، أما "سمير" فقد عاش اضطرابًا نفسيًا ، وصدمة كبيرة من صديقه وحبيبته ، وهذا ما جعله يُقدم على خطوة الانتحار الذي رأى فيه الخلاص من كل ما يجري من حوله فشخصيته « تحبل بالتوترات النفسية التي تغذيها دوافع داخلية نلمس أثرها فيما تمارسه من سلوك وما تقوم به من أفعال »⁽³⁾

فمعظم هذه الشخصيات عاشت أزمة نفسية مع اختلاف سبب كل واحد منها ، فاختلطت بين الحب والانتقام والكراهة ، ليلتأس التمرد عرش السلطة عند "بشير مفتي" حيث هجر بيته العائلي بحثًا عن الحرية والاستقلالية ، فشخصية "عزيز مالك" هي شخصية معقدة عاش حرمانًا ومعاناة اجتماعية قاسية جعلته يمارس علاقاته النسائية لذلك يعتبر « السلوك الجنسي من أهم ما يهتم به البعد النفسي ، فالمؤلف يناقش ما إذا كانت شخصياته تمتاز بالاستقرار والتوازن العاطفي ، كما يتعرض لما يشوب هذا السلوك من انحرافات وخروج عن العادة »⁽⁴⁾ ، وهذا ما كانت تعانيه معظم شخصيات الرواية فأغلبها شخصيات معقدة نفسيًا ، مكبوتة شعوريًا ، تعاني من التشتت والضياع ، ويظهر هذا من خلال سلوكياتها وتصرفاتها .

استطاع الروائي من خلال شخصياته الغوص في عالمها الداخلي ، وما يشوبها من نقص في تركيبتها النفسية ، خاصة تلك الأحاسيس والانفعالات التي خدمت أحداث الرواية من كره وحب

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 223

(2) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي "الفضاء، الزمن، الشخصية" ، ص 316

(3) المرجع نفسه ، ص 302

(4) شكري عبد الوهاب ، النص المسرحي ، ص 57

وانتقام، فالحب المفرط هوس، والكره المفرط مرض، لذلك ركز "بشير مفتي" على تصوير الأحوال المزاجية التي تميز كل شخصية عن أخرى، سعياً إلى تبيين الفروق بين الشخصيات،

3_ البعد السياسي :

تعتبر السياسة من القضايا والأمور التي شغلت ومازلت شغل الإنسان، فالمواقف السياسية القدرة على التعبير إما بالسلب أو الإيجاب حيث « يشغل الجانب السياسي حيزاً في روايات الأدباء، مهما كانت موضوعاتها، فقصص الحب مثل قصص الحروب، تدور أساساً حول موقف الإنسان من هموم مجتمعة وقضاياها الخاصة، وهي أساساً القضايا ذات الطابع الاجتماعي السياسي»⁽¹⁾، فالروائي ملتزم بقضايا وطنه السياسية والاجتماعية، فهو مرآة عاكسة يؤثر ويتأثر بظروف مجتمعة وهذا ما يجعله يكسب بعض شخصياته أبعاداً سياسية تظهر في أفعالها وسلوكاتها لكن بطريقة فنية جمالية، و"بشير مفتي" على رأس هؤلاء الأدباء الذين تأثروا لذلك الوضع السياسي في ظل احتدام الصراع بين قطبين متعارضين: « واحد يساري تحس أنه غير موجود في الواقع العام للناس وأغلب أعضائه نخبة مثقفة تتكلم كثيراً... وإن أمكنها التسلل إلى دواليب الحكم والتغلغل في أواسط الكوادر المسيطرة، فلن تعترض وتعتبر ذلك حماية لها وحصناً منيعاً لحضورها فوق لأنها خسرت تحت، والقطب الثاني كان يمثل المتدينون والذين وجدوا في الدين ضالّتهم وطريق حياتهم الصحيحة، وكانوا يحققون انتصارات ساحقة في واقع الحياة اليومية للناس ينتشرون في تلك الأواسط الشعبية بسرعة كبيرة... يبشرون بجنة قادمة على الأرض والسماء، وبحكم ديني سيحررنا من قهر الحكم الذي يسيطر علينا منذ الاستقلال 1962 إلى الثمانينات الموجعة كحياة وحلم»⁽²⁾، لتقع الطامة الكبرى على رأس الفرد الذي يجد نفسه في ظل صراع إبديولوجي عقائدي، سياسي لا

(1) علي عبد الرحمن فتاح، تقنيات بناء الشخصية "ثرثرة فوق النيل"، ص52

(2) بشير مفتي، الرواية، ص84

يستطيع الخلاص منه ،لذلك صوره الروائي بتلك الصورة المأسوية الكئيبة عاطفياً ، المقهورة اجتماعياً المتمردة سياسياً ،الرافض لما يجري من حولها ،وفي مقدمتهم "عزيز مالك" الذي كان يكره أن يكون سياسياً في قول السارد : « كثيرًا ما كنت وأنا صغير السن أريد أن أصرخ : توقفوا عن الكذب قليلا ...انزلوا أيها الكلاب ...لماذا كنت مثقلاً بتلك الأمور وغاضباً منها وأريد أن أغيرها بأي شكل ؟ وفي الآن نفسه كنت أكره ما أكره أن أكون سياسياً أو أنخرط في أي مجموعة تعارض الحكم «(1)،**فعزيز** كان يكره ويمقت النظام والوضع السائد ، وهذا ما أثر على نفسيته المحبطة من جراء القهر الاجتماعي والسياسي الذي ولد له نوع من الصراع ،على عكس **سمير عمران** الذي عاش القهر السياسي في سلوكاته وليس في أقواله ،فمن شدة شغفه وحبه للرئيس "بوضياف" انتحر يومين بعد مقتله.

أما "جمال" فقد عاش وعبر عن هذا القهر السياسي بكتابات ومقالاته في قول الراوي : « تفرغ "جمال كافي" تقريباً لكتابة المقالات السياسية المعارضة للسلطة والجماعات الدينية ، وكانت تصل إلى الجرائد التي يكتب فيها رسائل تهديد كثيرة وكان يقول لي : أنا لم أعد أخاف من الموت ويجب أن يستمعوا إلى كلمة الحق»(2)

تظهر شخصية "جمال" على أنها متحررة في الحياة ،متغيرة في نظرتة للأمور خاصة ما تعلق بالشعر، فبعدها كان مهووس به فقد استمتعاه بهووسه بسبب تلك الأوضاع، في قول السارد: « أحاول أن أذكره بالشعر الذي كان ينظر إليه على أنه خلاصه الوحيد، فيرفض أن يستمع ويغضب مني وهو يردد لم يبقى شعر أمام ما يحدث ؟ أي شعر يصلح لهذه اللحظة الكابوسية

(1)المصدر نفسه، ص ص84،83

(2)المصدر نفسه ، ص214

المؤلمة ؟ أريد أن أواجه هؤلاء بالكلمات التي يفهمونها باللغة التي يستطيعون أن يشعروا بها كخناجر في قلوبهم لا أريد أن يذهب دم سمير عمران هدراً»⁽¹⁾

لم يقتصر هذا التغيير السياسي على الشخصيات الرئيسية فقط، بل تجاوزه إلى شخصيات ثانوية أخرى كشخصية محمود المرشد الديني الذي أثرت فيه الأوضاع السياسية السائدة في ذلك الوقت فأصبح وزيراً بعدما كان مرشداً دينياً ويظهر هذا في قول السارد: « كان معنا عندما أجريت الانتخابات ونجحنا في حكم البلديات ، ثم البرلمان ، ولكن بمجرد أن انقلبت الأمور حتى انسحب إلى الخلف ..لم يحدث أن لقبته بعدها ، وكيف ألقاه وقد صار وزيراً مهماً»⁽²⁾، وهذا التغيير الذي حدث لـ محمود كان قفزة طبيعية في حياة رجل كان على أتم الاستعداد ليكون مع جميع الأطراف المحيطة والمتحكمة في مصير الناس ،من جهة أخرى أظهرت الرواية شخصياتها على أنها معارضة للنظام السائد ولكن ليس بالدرجة التي توصلها إلى تشكيل أحزاب وأحلاف معارضة ،فهي مجرد نقاشات وحوارات بين شخصياتها في مثل الحوار الذي دار بين الشعراء الثلاثة (جمال ، سمير، عزيز) مع المحامي ،ويظهر هذا جلياً في الرواية:

« هل تشعر حقا أن البلد على شفير الهاوية ؟

نعم بالتأكيد .

ماذا يقلقك أكثر ...أن ينتصر المتدينون في الانتخابات ؟

أين المشكل بالضبط ؟ إنني أحس دائما أن هناك من يريد أن نظل متخلفين .

(1) بشير مفتي، الرواية، ص215

(2) المصدر نفسه، ص ص90 91

نعم المشكل في التخلف بالذات....نحن نتحدث عن السياسة والحكم...»⁽¹⁾، كان الوضع السياسي حديث الساعة بين جل معالم الرواية لشدة وقع الأثر على قلوبهم و عقولهم ، و نفسياتهم.

« تجتمع كل هذه الأبعاد لتظهر وظيفة الشخصية بعمق، ولتساهم في البناء الفني لها داخل الرواية ،لهذا يلجأ الراوي إلى وصف ملامحها وقامتها وصوتها وملابسها وسنها وأهوائها وهواجسها وآمالها وآلامها »⁽²⁾، الشخصية إذن هي كيان مركب من أبعاد أساسية جسمية بملامحها وأوصافها نفسية بسلوكاتها وانفعالاتها ، اجتماعية بطبقاتها وثقافتها ، سياسية بتأييدها ومعارضتها للنظام .

II- علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى :

إنّ الشخصية هي محور العمل الروائي وأساسه وقلبه النابض ، لكنها لا تستطيع أن تؤدي وظيفة بمعزل عن بقية عناصر السرد الأخرى من زمان ومكان ، وأحداث، وهذا الارتباط يفرض عدم الفصل بين مكوناتها لأن الحديث عن مكون ما يقتضي بالضرورة الإحالة إلى الآخر لنخلص في الأخير إلى عمل متكامل الأجزاء ، متسلسل الأحداث والزمان. ومن هذا كله كان لا بد من الوقوف عند العلاقة التي تربط الشخصية التي هي موضوع دراستنا بالمكونات السردية الأخرى فما هي هذه المكونات ؟ وما هي علاقتها بالشخصية ؟ هذا ما سنعرفه في تحليلنا هذا .

1- علاقة الشخصية بالمكان :

المكان والشخصية يخدمان بعضهما البعض فلا مكان دون شخصيات ولا شخصيات دون مكان « فالمكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه استقلال

⁽¹⁾ بشير مفتي، الرواية، ص ص95 96

⁽²⁾ علي عبد الرحمن فتاح ، تقنيات بناء الشخصية ، ص49

إزاء الشخص الذي يندرج فيه «⁽¹⁾، فلا يكون في معزل عن الشخصيات أو أي عنصر من عناصر السرد فبتلاحمهما وانسجامهما يشكلان فضاء الرواية، فقد دخل مفهوم المكان والفضاء في لبس وغموض ، فهناك من يجعلهما مرادفين لبعضهما البعض دون تمييز أو دراية ، في حين أن لكل منهما مفهومه الخاص، حيث يعتبر الفضاء الروائي أكثر شمولية من مصطلح المكان الذي يقصد به المكان المفرد ليس غير ، في حين أن مفهوم الفضاء الروائي يقصد به الأمكنة الروائية جميعها ويتسع مفهومه ليشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع ضمن نطاق هذه الأمكنة² فالمكان جزء لا يتجزأ من الفضاء ويبقى من العسر فصله عنه حتى تتحقق دلالاته الأساسية من خلال الفضاء الروائي، باعتبار أن الامكنة جزر متنقلة داخل الفضاء الروائي، فالمكان يسعى إلى تشكيل الفضاء حسب "حسن بحراوي" « يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث »⁽³⁾ ، فالمكان جزء من الفضاء الذي تجري فيه الأحداث ، فلا أحداث ولا شخصيات تلعب أدوارها في الفراغ.

وإذا عدنا للرواية نجد أن الحانة هي المكان الذي سيطر على أحداثها وشخصياتها. تتميز الحانة أو الخمارة بشكل وحجم ومكونات خاصة بها على غرار بقية الأماكن من ضيق وبساطة ، وجاء مقطع من الرواية في وصف "عزيز" للبار بقوله « أجلس في بار غير بعيد عن البريد المركزي... بار صغير يشبه غرفة في مغارة ، شكله جميل و قليل الإضاءة ، بالكاد ترى الناس

(1) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي "الفضاء ، الزمن ، الشخصية" ، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء

المغرب، 2009، ص 32

(2) ينظر: سمر روجي الفيصل ، الرواية العربية ، "البناء والرؤية" ، ص 49

(3) حسن بحراوي ، المرجع السابق، ص 32

الذين يجلسون غير بعيد عنك»⁽¹⁾، تتوزع أحداث الرواية بين حانتي "أمزيان" و "أرزقي" ، اللتان كان يتردد إليهما الأصدقاء الثلاث "عزيز" ، "جمال" ، "سمير" ، والتي تعتبر مسرحاً للأحداث، « فالحانات ظهرت أولاً في الأحياء الخاصة بالأجانب ثم انتشرت إلى الأحياء التي لا يختلط بها الأجانب بالمصريين في العمل والسكن ، ثم تغلغت أخيراً في الأحياء الشعبية»⁽²⁾ ، فرواد الحانات مختلفون في القامات والسن والوظيفة ، مشتركون في الهدف وفي نفس الطبقة الاجتماعية الفقيرة غالباً ، وهذا ما حير الراوي بقوله: «...أما الداخلون إليها فيشعرونني بالاشمئزاز المقيت متسائلاً بحيرة : كيف يبذر الناس أموالهم في شرب مالا يسمن ولا يغني من جوع ؟ ...ولعل ما كنت أستغرب له هو أن أغلب مرتادي الحانات كانوا من الفقراء ، وإلى جانبهم أفراد الطبقة المتوسطة من أسانذة وإطارات الإدارة وغير ذلك من المهن المتوسطة الدخل ، أي تلك التي من المفروض أن تعرف قيمة المال وتقدره في حياتها»⁽³⁾، كانت هذه نظرة الراوي قبل أن يصبح هو من مرتادي الحانات هروباً من الأوضاع السائدة والنفسية المحطمة الكئيبة ، فكانت حانة "أمزيان" هي الحانة المفضلة له ولصديقيه يشربون ويتجاذبون أطراف الحكي عن السياسة ، الشعر ، الحبيبة والعلاقات الغرامية، فعلاقة الشخصيات بالمكان علاقة حميمية ومكاناً للترويح عن النفس ونسيان ضغوطات الحياة ، فأصبح الشراب هو الدواء الوحيد لمرضهم الروحي والجسدي والنفسي، فعندما يحضر الشراب تغيب العقول حيث تجعل الإنسان يهذي فتختلط عليه الحقيقة والخيال، وهذا ما حدث لـ "عزيز مالك" عندما بلغ أقصى درجات السكر « كانت الساعة السابعة إلا ربع عندما دخلت ليلى

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص103

(2) محمد جبريل ، مصر المكان ، دراسة القصة والرواية ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، 2000، ص20

(3) بشير مفتي ، المصدر السابق، ص31،30

مرجان" ، دخلت إلى الحانة التي كنت فيها وجلست في الطاولة التي كنا نجلس أمامها وأنا وجمال كافي" و"سمير عمران".

صافحتها وصافحتني في الأخير

أحسست بيدها الناعمة لأول مرة....تساءلت هل أنا سكران أم هي الحقيقة ؟

سمعت سمير يقول مخاطباً ليلي: " صار لنا زمان لم نشاهدك يا "مريم" ...أين اختفيت طوال هذه المدة ؟ ...عرفت حينها أنني شربت فوق اللازم ، وأن حبي لليلي مرجان سيصيني لا محالة بالسكتة القلبية «⁽¹⁾، فالشرب يذهب العقول ويشرد الألباب، إضافة إلى ما يتقوه به السكارى من كلام قبيح مذموم ، كما قد تفتعل الشجارات لتصل إلى ذروة من الجراءة والانحطاط اللفظي والحسي وهذا ما حصل في حانة "أمزيان" ، وجاء في مقطع من الرواية: «نشب شجار بين زونين في الحانة ،بدأ مستوى الكلام المنحط يتصاعد ويتوتر الحال بسرعة قال الأول: سأفعل في أمكرد عليه الآخر وهو ينطحه بدماعه أنت تسب أمي رأيت الدم يسيل من أنف الأول ، ولكنه لم يتوقف عن السب والشجار ، حاول النادل مزيان التدخل دون جدوى ، كانت المباراة قد بدأت ولن يوقفها أحد ، إلا إذا صرع الطرف الآخر وهزمه شر هزيمة ، ومع ذلك ربما لم يستسلم المهزوم ، وسيحاول أن يحمل مطواة أو سكيناً أو أي شيء تقع عليه يديه في تلك المباراة الدامية، حتى ولو كانت النهاية جريمة كاملة ومكتملة الصفات....، استطاع تدخل بعض الزبائن من فك الاشتباك بين المتبارزين السكارى بعد أن سمعناً وابلأً من الشتائم والسباب الجنسي والديني ، وشاهدنا لكلمات وركلات بينهما.»⁽²⁾، لذلك وصف الراوي لفظة الحانة لدلالة على حالة الضعف و التشتت التي

(1) بشير مفتي، الرواية ، ص ص78،77

(2) المصدر نفسه، ص ص116،111

وصلت إليها الشخصيات في خضم الصراع العقائدي الذي أثر على نفسياتها ، فصورها مدمنة روحياً ، مضطربة نفسياً.

يعتبر منزل "جمال كافي" مأوى لـ "عزيز" لفترة من الزمن ومسرحاً للسهرات حيث كانت تلتقي الشخصيات للشرب والسهر في قول "سمير": « سهرنا في بيته مرة ، وجاءت هي كقمر منير في ليلة حزينة ...»⁽¹⁾، وكذلك منزل "باية" الذي اعتبر مسرحاً للذكريات ، حيث راحت تتذكر ذكرياتها منذ طفولتها إلى يوم وفاة "سمير" وحدث الفاجعة في قولها : « يا إلهي ...ظننت أنني تجاوزت هذه الذكريات كلها»⁽²⁾ فـ "عزيز مالك" بحديثه مع "باية" أيقظ فيها تلك الذكريات التي حبستها بينها وبين نفسها في جدران بيتها .

فالمكان يعبر عن الحالة الشعورية عند الشخصية المقيمة فيه حسب حسن بحرأوي "إننا ننسى غالباً أن هناك تأثيراً متبادلاً بين الشخصية والمكان الذي تقيم فيه ، وأن الفضاء الروائي يمكنه أن يكشف لنا عن الحياة اللاشعورية التي تعيشها الشخصية ، وأن لا شيء في البيت يمكنه أن يكون ذا دلالة من دون ربطه بالإنسان الذي يعيش فيه «⁽³⁾

إنّ فضاء البيت مرآة عاكسة عن نفسية صاحبه ، حتى أدق تفاصيله (أثاث، ولون الجدران..). جزء من المكان ، فكل قطعة تدل على حدث أو فكرة ما ، في قول "عزيز مالك" وهو يصف بيت باية : «..كانت شقة صغيرة من غرفتين وصالون بسيط مؤثث بأثاث قديم ...»⁽⁴⁾، فالأثاث القديم يعبر عن نفسياتها المحطمة والكئيبة جراء موت والدها بانفجار في متجره من جهة ، كما قد يدل على وضعها المادي الذي لا يسمح لها بالتغيير من جهة أخرى، « وفي الحقيقة فإن لا أحد يجادل

⁽¹⁾ بشير مفتي ، الرواية، ص168

⁽²⁾ المصدر نفسه ص194

⁽³⁾ حسن بحرأوي ، بنية الشكل الروائي "الفضاء، الزمن، الشخصية"، ص144

⁽⁴⁾ بشير مفتي ، المصدر السابق، ص179

في أهمية الوصف الموضوعي لفضاء البيت أو الجزئيات ذات الدلالة التي يتضمنها، إلا أن فائدة هذا الوصف أكيدة ومحدودة معاً ، فالوصف يستطيع أن يقدم لنا معطيات وتحديدات تفيد في التعرف على المدى الإقليدي الذي يتشكل به فضاء البيت ، كما يساعدنا عندما ينكب على الأثاث والأغراض في تكوين فكرة عن وضع العينة البشرية التي تأهله وتجد ألفتها فيه «(1).

إضافة إلى هذه الأمكنة وردت في الرواية أماكن متعددة ومختلفة مثل المنزل العائلي ، المقهى الفنادق ، (ريجينا ، لاروديزلي ..)، الشوارع (ديدوش مراد ، القصبية ، حسبية ، أودان) ، وذلك لأنها تمتلك خصوصية وقيمة في العمل الروائي ، فكل مكان له دلالة فهو مجال لتفاعل الشخصيات ومسرحاً لحركيتها .

_أنواع الأمكنة في رواية غرفة الذكريات

تتنوع الأماكن في الرواية وتنقسم إلى سبعة أنواع (2)

أولاً : الشوارع : نجد شارع مصطفى فروخي ، شارع حسين داي ، شارع ديدوش مراد ، شارع حسبية ، شارع أودان ، عميروش ، العربي بن مهدي ، زيغود يوسف .

ثانياً : الأحياء : وأهم الأحياء التي ورد ذكرها هي حي باش جراح (الذي يقطن به "عزيز مالك") حي السكالة (الحي الذي يسكن فيه "جمال كافي") ، منطقة سطاوالي ، حي القصبية ، حي سانتوجان "القديس جان" الذي تغير اسمه إلى بولوغين (مكان مسكن "باية") ، حي طنجة (مكان تواجد إحدى الفنادق)

(1) حسن بحراوي ، "بنية الشكل الروائي" ، ص44

(2) عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق) ، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ، الجزائر ، 1995، ص248

ثالثًا :الساح والمدن : ساحة أودان (مكان تواجد حانة أمزيان)، ساحة موريطانيا ، حديقة صوفيا (مكان التقاء عزيز بسالي)، مدينة الجزائر ، قسنطينة ، بوسعادة ، بوزريعة، عنابة المدية (قصر البخاري) ، مدينة مرسيليا (مكان تحصل سمير على الجائزة الشعرية)

رابعًا :المقاهي والحانات : مقهى "طالب عبد الرحمن" ، حانة "أمزيان" وحانة "أرزقي" اللتان سيطرتا على أحداث الرواية .

خامسًا :الدكاكين والمتاجر : ورد في الرواية متجر واحد وهو متجر بيع الذهب في حي "عزيز مالك"

بالإضافة إلى ورود بعض الأماكن الفرعية كالجامعة المركزية بالجزائر ، والمكتبة العامة لبلدية الجزائر ، المسجد ، مبنى رئاسة الحكومة، قصر الثقافة ، إلى جانب بعض الفنادق كـفندق "لاروديزلي" وفندق "ريجينا" وبعض البيوت كبيت "جمال" ، وبيت "باية" ، والبيت العائلي لـ"عزيز" .

2- علاقة الشخصية بالزمن:

يعتبر الزمن من أهم المكونات السردية في الرواية وعلاقته بالشخصية والمكان علاقة وطيدة حيث يكمل كل منهما الآخر ، لأنه يؤثر بشكل كبير في تلقي النص وفهمه إذ أن « الزمن الأدبي هو غير الزمن الفلسفي أو النحوي فهو زمن متسلط ، شفاف ، متولج في أشد الأشياء صلابة ومتحكم في أبعاد الأمور إعتياصًا »⁽¹⁾، فالزمن يتعدد بتعدد المجالات سواء كانت فلسفية أو نحوية أو رياضية ويعطي كل مجال دلالة خاصة .

(1) عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردى ، ص288

«ترتبط الشخصية بالزمن بعلاقة جدلية يتأثر كل منها بوجود الآخر فالزمن يحتوي الإنسان بين قطبية الميلاد و الموت حيث يولد ويكبر ويمر بمراحل التكوين مع حركة الزمن»⁽¹⁾، ونجد أن الزمن والشخصية مترابطان على مدى أحداث الرواية ، فالزمن يتماشى مع الشخصية حتى تتضح صورتها لدى المتلقي وتكتمل معالمها لديه ،فرواية "غرفة الذكريات" تحكي عن فترة زمنية محددة وهي فترة العشرينية السوداء أي زمن الألم والفاجعة في قول الروائي « لقد سجت نفسي في حياة الوحدة لفترة طويلة بعد عشرية السنوات المذمومة عندما سال الدم بطريقة مؤلمة و مفعوجة....بعد نهاية تلك العشرينية السوداء....»⁽²⁾ فمن خلال المؤشر الزمني "العشرينية السوداء" يتضح زمن الرواية التي هي عبارة عن استرجاعات ماضية لمراحل حياة الروائي، والعودة إلى الوراء لتذكر المسلسل الذي جاء تحت عنوان "الموت والحب".

انقسم زمن الرواية إلى زمنين ، زمن الحانة وهو زمن الذكريات المؤلمة ، ثم الزمن الحاضر سنة 2010 وهو زمن التذكر والاستعادة ،في قول الراوي: « أنا الآن في عام 2010 أجلس فيبار صغير غير بعيد عن البريد المركزي...أحاول التأكد من ذكرياتي وأنا أستعيدها الآن على شكل صور مبعثرة...التقيت بشخص اليوم...تحدثت معه عن الرواية فسألني لماذا ترغب في العودة إلى الوراء؟ ألا يستحق الحاضر اهتمامك؟ الحاضر لم يولد بعد الماضي حاضر دائما»⁽³⁾،يمكن أن ندرج هذا القول خاصة والرواية عامة تحت مقولة المفارقات الزمنية (الاستباق والاسترجاع) أو

⁽¹⁾مها حسن القصاروي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2004، ص

149

⁽²⁾ بشير مفتي ، الرواية ، ص 13

⁽³⁾المصدر نفسه ، ص 103 ، ص 209 ، ص 211

بالأحرى الاسترجاع أو الإرجاع « ويعني استرجاع حدث سابق عن الحدث الذي يحكى »⁽¹⁾ فالراوي في سنة 2010 ويعيد استرجاع أحداث ماضية من حياته بدءًا من طفولته إلى كهولته باستعمال ضمير المتكلم...، وما أكثر الاسترجاعات في رواية *غرفة الذكريات* التي جاءت على شكل سيرة ذاتية فالعنوان هو واجهة العمل الأدبي وبطاقة التعريف به، فهو يحيل على المضمون وامتدادًا له ، لينقل السارد برشاقة وسلاسة دون حدوث أي خلل من الحاضر إلى الماضي ومن الماضي إلى الحاضر مزوجًا بين اللواحق والسوابق ، فالسوابق هي: «حكي شيء قبل وقوعه»⁽²⁾ فالراوي يحكي لنا عن حلمه في كتابة الرواية ودوافعه قبل أن يكتبها في قوله « كان عندي منذ مراهقتي حلم واحد لا شريك له أن أكتب رواية ظننت أن هذا سيحدث في بداية التسعينات عندما أنهيت دراستي »⁽³⁾

يلاحظ المتصفح للرواية أن الغلبة للاسترجاعات على الاستباقات، تمثلت هذه الأخيرة في أحلام بعضها تحقق والبعض الآخر بقي بين طيات النسيان، أما الاسترجاعات كانت محور وعصب الرواية التي جاءت زاخرة بالذكريات المتوزعة بين ثنائيات الأمل والألم ، الموت والحياة ، الكره والحب.

جرت أغلب أحداث الرواية في الزمن الليلي (زمن الحانة) الذي تعتبره الشخصيات بمثابة هروبًا من الواقع المرير « فالحدث الروائي أو السينمائي بطبيعته لا يستطيع أن يركض خارج الزمن من وجهة ، كما لا يستطيع أن يند عن جريانه إما بليل إما بنهار من وجهة أخرى »⁽⁴⁾ فالليل أنيس

(1) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، "الزمن ، السرد ، التبئير" ، المركز الثقافي العربي ، ط 4 ، الدار

البيضاء المغرب ، 2005 ، ص77

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(3) بشير مفتي ، "الرواية" ، ص11

(4) عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردى ، ص235

الوحدة ومصدر الإلهام والاستذكريات المؤلمة والمفرحة في قول "عزيز" « صارت الساعة الثالثة بعد الظهر والحانة اكتظت على آخرها وسيزداد عدد الزبائن مع اقتراب المساء فأغلب الذين يحبون الشرب يأتون مساءً ويخرجون من الحانة ليلاً»⁽¹⁾، فالحانة مرتبطة أشد الارتباط بالزمن الليلي ومن بين الأحداث التي شكلت منعرجاً حاسماً في "غرفة الذكريات"، ووقعت تفاصيلها في الزمن الليلي نذكر:

-مقتل "جمال كافي" من طرف الإرهابيين في إحدى الليالي الحالكات في قول "عزيز" « شربنا وشربنا وغنينا ورقصنا...كانت الساعة تشير إلى العاشرة ليلاً وجدت حمو الكلونديستان...قال لي بصوت حزين..الكلاب قتلوه، كانوا ينتظرونه قرب الباب.»⁽²⁾

-تعرف "سمير عمران" على "باية" في إحدى السهرات بمنزل جمال كافي « تعرفت على باية في بيت جمال....سهرنا في بيته مرة وجاءت هي كقمر منير في ليلة حزينة»⁽³⁾.

فما أكثر سهرات الشعراء الثلاثة التي تبتدئ بجدار وأحاديث وتنتهي بسكر ونساء.

-أول لقاء يجمع بين "عزيز مالك" و "جمال كافي" في إحدى سهرات حانة "أمزيان" «لم أتوقع دخول جمال كافي فجأة مع صديقنا المشترك "سمير عمران" إلى حانة أمزيان»⁽⁴⁾.

إنّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية ارتباطاً بالزمن كما يرتبط بالحياة، لأنّ الزمان هو وسيط الرواية كما هو وسيط الحياة، فترتيب زمن الرواية جاء مضطرباً نوعاً ما، وذلك من خلال

(1) بشير مفتي، الرواية، ص60

(2) المصدر نفسه، ص ص227، 230

(3) المصدر نفسه، ص138

(4) المصدر نفسه، ص46

الاسترجاع للماضي والاستباق للحاضر الذي جاء سريعاً ولم يؤثر على مجرى الأحداث ، وكان ذلك من أجل سد ثغرة المسار السردى .

3-العلاقة بين الشخصيات :

- علاقة "سمير عمران" بـ"جمال كافي":

إنّ الشعر و جنونه هو الخيط الذي جمع بينهما رغم اختلافهما، فـ"سمير" كان هشاً ضعيفاً لا يصرح إلا بالقليل على نقيض "جمال" الذي كان مندفعاً نحو الشعر والإبداع ويظهر ذلك في الرواية "جمال كافي" الذي كان مندفعاً أكثر نحو الشعر والإبداع ،وتشعر أنه يشبه كلمات متحركة لا تتوقف عن الغناء والرقص وصوت شعري هادر يهزم كل الحواجز التي تقف في طريقه»⁽¹⁾

فجمال" متسلط يريد التحكم في مصيره ولا يرغب أن يكون هذا المصير في يد قوة غيره ، أما "سمير عمران" يملك قلباً كبيراً دامياً ، ولا يظهر إلا القليل من الطيبة والألم ، كان متمسكاً بحب باية أكثر من اخلاصه للكتابة و الشعر ويظهر ذلك في قوله « أنا أكتب لكن لن أكون كاتباً كما أريد وأرغب والسبب كما قلت لك بسيط ومؤلم في نفس الوقت ، الكتابة تتطلب أن تخلص لها أما أنا فلا أستطيع ...»⁽²⁾ ،وقد سبب "سمير" لـ"جمال" إحباطاً كبيراً وقاسياً لأنه تحصل على الجائزة الشعرية في مدينة مارسيليا فهو يعتبر "جمال" أكثر جنوناً بالشعر لأنه متفرغ له وقد نجحت قصيدة "سمير" ولم تتجح قصيدة "جمال" وكادت العلاقة بينهما تسوء لولا أن "سمير" اقتسم معه ذلك المبلغ الزهيد حتى لا يغضب منه ولكن بالرغم من هذا فـ"جمال" لم ينقص غضبه من "سمير" ولم يقلل منه قيد أنملة»⁽³⁾

(1)بشير مفتي ،الرواية ، ص58

(2) المصدر نفسه،ص58

(3) المصدر نفسه، ص59

إن سبب مشاركة "جمال" في المسابقة هو إلحاح "سمير" عليه فقد أغرته المكافأة المقترحة، إضافة إلى هذا لم يسافر قط خارج الجزائر ولهذا شعر "جمال" أن "سمير" أوقعه في الفخ ، كانا يتنافسان في الشعر وما يكتبانه، متعودان على الخصام على أنفه الأسباب وهما يشربان الخمر معاً في الحانات، لكن هذا لا ينفي حرصهما فهما شخصان حذران « ولا يتقان بأي شخص غريب لا يعرفانه ويمكن أن يتهموه بسهولة بأي شيء »⁽¹⁾ ، فقد كانا يتكلمان بتحفظ في الحانة عندما يريان شخصاً غريباً دخل إليهما.

كان "سمير عمران" يملك سكناً في الجزائر العاصمة ولكنه يقضي جلايامه عند صديقه جمال كافي، فعلاقته به كانت معقدة وغريبة تحسها صداقة عميقة ومثينة من جهة، وصراعاً وتطاحنًا من جهة أخرى ، وفي علاقتهما ألم سري متخف تحس به في نظراتهما إلى بعضهما البعض من حين لآخر ، أو عدم رغبتهما في الحديث بينهما ، فيحدث التواصل بسرعة وينقطع بسرعة كما يعود بسرعة أخرى ، قضى "سمير" بعض الليالي في الأحياء الجامعية مع "جمال" بعد أن عرّفه على جميع أصدقائه ، لكن جمال كان مزاجياً يحب ويتحمس لشيء ثم يكرهه ويهجره ، فهو مراوغ ومتقلب المزاج ويظهر ذلك في الرواية « كنت أستغل الفرصة لأقبض على حقيقة علاقتهما ولكن كان كلاهما يتحدث عن الآخر بشكل مراوغ ، أو بطريقة لا تمسك بها خيط الحقيقة »⁽²⁾، فجمال كثير العلاقات مع النساء ، لكنها لا تدوم إلا شهراً واحداً بعد إشباع نهمه الجنسي ، على عكس "سمير عمران" الذي كان يعاني من حبه لـ "باية" وهو يتكلم عنها كأنها نور على نور.

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 100

(2) المصدر نفسه، ص 111

التقى "سمير" "باية" في منزل "جمال" وصارحها بحبه لها من أول نظرة وهذا ما أثار غضب "جمال"، ظانًا للمرة الأولى أن سبب غضبه هو عدم اعترافه بالحب والمشاعر، ولكن السبب السري المتخفي هو أن هناك علاقة سرية تجمع بين "جمال" و "باية" ولم يصارح صديقه حتى بعد أن طلب الزواج منها وكانت ترفضه على الدوام دون سبب، ف"سمير" شخص تعرّض للخيانة من طرف صديقه "جمال" وحببيته "باية" وهذا ما دفعه للانتحار وليس السبب هو مقتل الرئيس "بوضياف" كما بدا في الرواية إذ يقول السارد « جاء خبر انتحار "سمير عمران" مفاجئًا للغاية وعرفت من "جمال" أنه ألقى بنفسه من أعلى جسر قسنطينة... ولكن أغلب الظن كما ردد "جمال" أن الأمر مرتبطًا بمقتل الرئيس "بوضياف"» (1) أي أن "جمال" كان يخون صديقه وظن أن "سمير" لا يعرف بهذا وما فاجأه وصعقه هو نبأ انتحاره في قول السارد: « في داخله كان يعرف أن السبب الحقيقي كان يكمن في أن صديقه الوحيد يخونه مع حببيته "باية" تلك التي كانت بالنسبة له الشمس والنور في ظلمات هذا البلد » (2) ، وهذا ما جعل "جمال" يتغير فأصبح شخصًا آخر بعد هذه الحادثة شخصًا منتحرًا في الحياة دون أن يجرؤ على القيام بذلك في الواقع .

_علاقة "عزيز مالك" بـ "باية":

التقى "عزيز مالك" بـ "باية" سنة 2001 وقد لفت انتباهه وجهها الجميل وشعرها الأشقر وبدأ يقارن بينها وبين ما شاهده منذ زمن بعيد في غرفة "جمال كافي" ، وقد ذهب "عزيز" للبحث عنها في الجامعة ولكنه لم يجدها فقصد بيتها ، فرحبت به بحكم أنه صديق "سمير" و"جمال" ، نشأ

(1) بشير مفتي ، الرواية ، ص 194

(2) المصدر نفسه ص 223

بينهما حوار طويلاً و أحاديث متشعبة في مختلف المواضيع ويظهر ذلك في قول السارد « كنت منتبهاً لكل كلمة تقولها وهي متوترة ، وفي نفس الوقت سعيدة لأنها تتحدث وتروي حكايتها لي» (1)

يعتبر "عزيز" "باية" الخيط الذي يربط الأحداث ببعضها، فصارحها بنواياه وهي أنه يريد أن يكتب رواية عن صديقيه ، وشعر أنها هي الحلقة التي تربط كليهما ببعض في قوله « لقد كنت في فوضى البحث عن خيط يربط الأشياء ببعضها أحاول أن أعرف من أين أبدأ ؟ وإلى أين أمضي ؟» (2) ، بالرغم من هذا ف"باية" كانت سعيدة وحزينة في الوقت نفسه ،متذكرة تفاصيل حياتها بلحوها و مرها فكانت صريحة جداً معه ولم تخف عنه شيئاً بدءاً من طفولتها حتى وصولها لهذه النقطة فقد استرجعت معه ذكريات كانت تظن أنها نسيتها ودفنتها في أعماقها إلا أن "عزيز" أخرج ما كان مدفوناً وأشعل النار التي كانت تظن أنها أخمدها، فعلاقتهم ليست علاقة صداقة بل علاقة سطحية بحكم أنهما لم يتعارفاً إلا بعد زمن طويل منذ أن حكى "سمير" لكليهما عن الآخر، فكان أول لقاء بينهما مجرد حوار باعتبارها همزة وصل بين "سمير" و"جمال".

_علاقة "عزيز مالك" بـ "ليلي مرجان":

بدأت العلاقة بينهما حين اصطدمت به في الشارع وسقط منها كناش صغير على الأرض عليه اسمها وعنوان بيتها وعملها، فذهب "عزيز" ليلتقي بها في المستوصف الذي تعمل فيه ممرضة ،لتنطورعلاقتهمافصارا يلتقيان على الدوام.كانت أحاديثهم متشعبة عن كل المواضيع الاجتماعية السياسية ،الأدبية لكن لسبب أو لآخر لم تدم علاقتهم أكثر من سنة دون أن يصارحها بحبه لها وليلي كانت تعتبره أطيّب إنسان وأعز صديق لأنها كانت مغرمة بشخص آخر يدعى "طارق"

(1) بشير مفتي ،الرواية، ص180

(2)المصدر نفسه،ص186

عوادي" في قولها: « إن رغبت أن نظل مجرد أصدقاء فهذا لن يزعجني وإن رغبت أن تتطور علاقتنا فتصبح أكثر من الصداقة فأنا أقبل ولكن بشرط ... لن أترك "طارق عوادي" أبداً »⁽¹⁾.

أصبح "عزيز" و"ليلي" يلتقيان في فندق ويقضيان ليال مع بعضهما ف عزيز أحب "ليلي" دون حسابات لأنها وعدته بحياة تمنى أن يعيشها ، وبجنة تمنى دخولها ، ولكن في نظر "ليلي" كان مجرد شريك لها في رحلة معاناتها فانفصلت عنه بمجرد أن تركها "طارق عوادي" ، فعاقبت "عزيز" على جرم لم يفترفه تاركته محطماً نفسياً، متألماً عاطفياً ، لتبعث له بعد مدة طويلة من الزمن برسالة تبرر فيها موقفها وسبب رحيلها ، كلمات الأسف تلك التي نبشت بعمق ذاكرته المهترئة بالألم والاشتياق ، فيجد نفسه حبيس قصة عشق قديمة جعلته يتخبط في دائرة كبيرة من اليأس والكآبة ، فمع مرور تلك السنين لم تنس "ليلي" "عزيز" أيا ترى أحبته في يوم ما ؟ أم استيقظ ضميرها فأحست بجرمها اتجاهه ، أما "عزيز" فلم ينسها طيلة خمسة عشر سنة من رحيلها فقد كان يقرأ رسائلها كمحب متم ناسياً أو متناسياً ما فعلته به في قوله « لكن بعد سنوات من الظلمة واليأس أعادت لي رسائل "ليلي مرجان" الرغبة في اللحم من جديد ، ورحت أتخيل مع كل رسالة كانت تصلني من ذلك البلد البعيد كندا ، أنها حتما ما تزال مسكونة بي ، أنها بتأكيد تحبني في مكان ما في قلبها ... ، أنها لم تنسني قط كما لم أنسها أنا قط »⁽²⁾.

إنّ علاقة "ليلي" بـ "عزيز" علاقة محيرة منذ البداية فقد أحبها منذ أن اصطدم بها صدفة وبقي معها على علاقة لمدة سنة ، علاقة لم يستطع تصنيفها لا في خانة الصداقة ولا في خانة

(1) بشير مفتي ، الرواية ص 216

(2) المصدر نفسه، ص 231

الحب وهي بدورها كانت على علاقة مع شخص آخر، فاختلطت العلاقات ولم تبق إلا علاقة وحب "عزيز" لـ "ليلى" الحب من طرف شخص واحد.

خاتمة

نخلص من هذا العمل إلى مجموعة من النتائج :

إن الشخصيات الروائية هي الأساس والمحرك الرئيس لأي عمل أدبي ،حيث تلعب دوراً كبيراً في تسلسل وإنتاج الأحداث ، فقد تضاربت الآراء حول مفهوم الشخصية عند العرب والغرب ولكنها تقف عند مفهوم شامل ومحدد هو أن الشخصية هي حجر الزاوية في كل عمل فني يقدمه الروائي فاعتمدنا بذلك على طرح **فيليب هامون** الذي قسم الشخصية إلى ثلاثة أقسام ،مرجعية(سياسية دينية، اجتماعية، مجازية)،استذكارية (التمني، الذكرى، الاسترجاع ،الاعتراف)،إشارية، وتتفاوت نسبة ظهورها حسب طبيعة النص و ما يخدمه، لتكون الغلبة للشخصيات الاجتماعية التي استمدت وجودها من الواقع،على حساب الشخصيات الدينية و السياسية التي اقتضت على شخصيتنا "محمود" و "محمد بوضياف" ،كما لا يفوتنا ما لعبته الشخصيات المجازية من دور في تسلسل و سيرورة الأحداث، لما أفرزته من حب و كره للنظام السائد ورغبة في التغيير، وكل هذه الشخصيات لعبة أدوارها في إطار زمان و مكان محددين ضمن مجموعة من العلاقات، تداخلت بين الحب و الصراع ،و الانتقام بين معالم الرواية التي لم يكتف الراوي بوصف حالتها الداخلية بل تعداها إلى أبعاد أخرى اجتماعية بطبقاتها ،فيزيولوجية بهندامها، سياسية بمعارضتها، وشخصيات روايتنا جاءت استرجاعية بالدرجة الأولى في خضم أحداث سياسية ودينية قاهرة فهي مقهورة اجتماعياً مأزومة نفسياً بسبب الأوضاع المزرية آنذاك .

قام "بشير مفتي" بنسج خيوط بينه وبين القارئ ، فهذه الرواية هي تصوير ما عاناه الإنسان الجزائري في تلك الفترة ،فحاول أن يصوغها بلسان شخصياتها فعبر عن كل نموذج منها في الرواية ليصل إلى قلب وذهن القارئ ،واستطاع أن يؤثر فيه من جميع الجوانب ، فالرواية تعبر عن ذكريات أليمة في فترة من الفترات، ومن يقرأ هذه الرواية يعيش مع شخصياتها ،ويستطيع فهم أفكارهم وطموحاتهم التي كانت محدودة على الأمن والسلم والاستقرار الروحي والسياسي.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1 _ المصادر

أ - الرواية:

- بشير مفتي، غرفة الذكريات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2014:

ب _ المعاجم :

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج 7، دار

إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1999

- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تر : عبد الرحمن هنداوي ج 2 ، دار الكتب العلمية ،

ط 1 ، بيروت ، 2003

- سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، ط 1 ، بيروت ،

1985

- فتحي ابراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، الجمهورية

التونسية ، 1986

- فيصل الأحمر ، معجم السيمائيات ، منشورات الاختلاف ، ط 1 ، الجزائر ، 2010

- كامل المهندس، مجدي وهبة، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، ط2،

بيروت، 1984

- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، وزارة التعليم والتربية ، دط مصر ، 1994

قائمة المصادر والمراجع

2 المراجع :

أ _ الكتب العربية:

- أحمد مرشد، البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2005
- الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986
- جويدي حماش ، بناء الشخصية (في حكاية عبدو والجمام والجل لمصطفى قاسي) منشورات الأوراس ، ط1 ، الجزائر ، 2007
- حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي " الفضاء ، الزمن ، الشخصية " المركز الثقافي العربي ، ط2 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2009
- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000
- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية " الشارع و العاصفة (حنا مينة أنموذجًا) ، دار مجد لاوي ، ط1 ، عمان ، 2003
- سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي " الزمن ، السرد ، التبئير المركزي الثقافي العربي ، ط4 ، دار البيضاء المغرب ،

قائمة المصادر والمراجع

- شريط أحمد شريط ، تطور البنية الفنية في القصة ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ،

1998

- شكري عبد الوهاب، النص المسرحي (دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة والمسرحية)، المكتب

العربي الحديث، الإسكندرية، 1997

- عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية (2) العلاقات الانسانية دار الكتاب العربي ، الجزائر

، 2001

- عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية " زقاق

المدق " ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ، الجزائر ، 1995

- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية المجلس الوطني للثقافة والفنون و الأدب ، الكويت ،

ديسمبر، 1998

- محمد بوعزة ، تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم)، دار الأمان ، ط 1 ، الرباط

(المغرب) ، 2010

- محمد جبريل، مصر المكان، دراسة في القصة و الرواية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر،

2000

- مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 1 ،

بيروت ، 2004

قائمة المصادر والمراجع

- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين أحمد بأكثير ونجيب الكيلاني (دراسة موضوعية وفنية) ، دار العلم والإيمان ، ط1 ، 2009

ب_ الكتب المترجمة :

- أدوين موير ، بناء الرواية ، تر: ابراهيم البناء والرؤيا (مقاربات نقدية)، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2003

- تيزفيطان تودروف ، مفاهيم سردية ، تر : عبد الكريم مزيان ، منشورات الاختلاف ، ط2 ،
الدار البيضاء المغرب ، 2000

- جيرالد برنس ، المصطلح السردية ، تر : عابد خز ندار ، المشروع القومي للترجمة، ط1 ،
القاهرة ، 2003

- رولان بارت ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، تر : منذر عياشي ، مركز الإنماء
الحضاري، ط1 ، 1993

- فلا دمير بروب ، مورفولوجية القصة ، تر: عبد الكريم حسن ، سميرة بن عمو ، شراع الدراسات
والنشر والتوزيع ، ط1 ، دمشق ، 1996

- فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية تر: سعيد بنكراد ، دار الكلام ، الرباط، 1990

قائمة المصادر والمراجع

ج_ المجلات :

- السيميائية والنص الأدبي ، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها جامعة عنابة "باجي مختار "

17ماي 1995

- جميلة قيسون ، الشخصية في القصة ، مجلة العلوم الانسانية ، العدد13 ، جوان ، 2000

- دار الخطاب ، دورة أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب ،

منشورات مخبر تحليل الخطاب ، دار الأمل ، تيزي وزوو ، العدد 5 جوان 2009

- علي عبد الرحمن فتاح ، تقنيات بناء الشخصية في رواية "ثرثرة فوق النيل" ، مجلة كلية الآداب

، جامعة صلاح الدين ، العدد102

الفهرس

فهرس الموضوعات

شكر و تقدير

اهداءات

مقدمة أ-ب

مدخل : مفهوم الشخصية في النقد العربي الحديث 9 - 16

الفصل الأول : أنواع الشخصية في رواية "غرفة الذكريات"

أنواع الشخصيات

1. - الشخصية المرجعية 18

أ - الشخصية السياسية 19

ب - الشخصية الدينية 22

ج - الشخصية الاجتماعية 24

د - الشخصية المجازية 40

2. الشخصية الاستذكارية 46

أ - التمني 47

ب - الذكرى 49

فهرس الموضوعات

ج - الاسترجاع 50

د - الاعتراف 51

3 - الشخصية الإشارية 54

الفصل الثاني : ابعاد الشخصية وعلاقتها بالمكونات السردية الأخرى

ا. أبعاد الشخصية

1 . البعد الفيزيولوجي 59

2 - البعد الاجتماعي 62

3 . البعد النفسي 67

4 - البعد السياسي 70

علاقتها بالمكونات السردية الأخرى

1 - بالمكان 73

2 - بالزمان 79

3 - ببعضها البعض 83

خاتمة 90

قائمة المصادر و المراجع 92

فهرس الموضوعات 98